أبوعيدالله الثليمي

أ لحر بو طلى



المواقعيد الله الشبعى

ىتأىيە دكمۇرغلىخىيىنى الىخرىئوطلى

المطبعة الفنية الحديثة

ابوعند الله السنعى

مؤستس الدوكة الفاطمية

ئىلىپ دكۇرىكلىخىيەنى الېغرىۇطلى

بسيب إليه الرحم الأويم

بقت يبة

(أبو عبد الله الشيعى) هو بطل من أبطال التاريخ . وقد جمع من الصفات والقدرات ، الشخصية والعامة ، ما جعله في مقدمة رجالات العالم . فهو رجل عين ، اتصف بالذكاء والفطنة ، وبالتدين والزهد ، وبالتنوى والورع ، وبالنابة والكياسة . اعتنق تعاليم الشيعة ، وتشبع بحب آل الديت النبوى ، وأعلن ولاءه للائمة العلويين الاسماعيليين ، ورأى أحقية الفاطميين في تولى الخلافة ، فعاش حياته كلها من أجل تحقيق آرائه وأفكاره . وكافح و باضل سنوات طويلة حتى خرج بها إلى النور ، وجعلها حقيقة تاريخية واقعة ، فأصبح مؤسساً للدولة الفاطمية، التي كانتمن أعظم الدول الإسلامية حضارة وأمجادا.

شهد التماريخ الإسلامي كثيراً من الثورات العادية ، طوال العصرين الأموى والعباسي ، من أجل قيام خلافة علوية فاطهية . وجاهد أثمة علويون ، وملايين من شيعتهم ، في سبيل تحقيق هذا الهدف ، وأزهقت أرواح ، وسالت دماء ، وامتلا ث السجون بالشيعة ، وتعددت الفرق الشيعية ، ولجأت إلى المقاومة العلنية الإيجابية حينا ، وإلى الدعوة السرية حينا أخرى. ولكن هذه المحاولات والجهود ، باءت بالاخفاق ، ولم ينجح الأثمة العلويون ، بعد الإمام على بن أبي طالب ، في الوصول إلى الحلاقة ،إذ استأثر بها خلفاء أمويون وعباسيون .

ثم استطاع رجل واحد ، مجمود فردية ، معتمداً على ذكائه وعبقريته ، وعلى لسانه وفطنته ، أن يقيم صرح الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب . وهــذا

الرجل ،هو أبو عبد الله الشيعى، الذى أصبح جديراً بأن يصفه المؤرخ المتريزى بأنه « من الرجال الدهاة الجبيرين بما يصنعون ، أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة المالك العظيمة من غير مال ولا رجال » .

ومما يؤسف له أننا لا نجد في مكتبتنا العربية كتابًا ينفرد بدراسة تاريخ أبي عبد الله الشيعى على أسس علمية منهجية، ولا نجد سيرته إلا في ثنايا دراسة للمؤرخين والباحثين لتاريخ الدولة الفاطمية ، رغم أن قيام هذه الدولة العظمى كان من ثمار جهوده . ولذا رأينا أن نعطى أبا عبد الله حقه في دراسة تاريخه الحيد .

ومما شجعنا أيضاً على القيام بهذه الدراسة ، أن حق أبى عبد الله قد ضاع بين أهل السنة ، وبين الشيعة . فأهل السنة ساخطون عليه لأنه شيعى مخلص ، كانت جهوده هى أساس قيام دولة علوية فاطمية شيعية فى للفرب ، مالبثت أن انتقات إلى مصر ، ومدت نفوذها إلى الشام وإلى أرجاء كثيرة فى الجزيرة المربية ، كما أن كثيراً من أهل السنة يشكون فى نسب الخلقاء الفاطميين إلى السيدة فاطمة بنت الرسول ويسمومهم العبيديين ، نسبة إلى عبيد الله المهدى أول الخلافة ، ويرى أهل السنة أن أبا عبد الله الشيعى هو الذى مهد _ فى رأيهم للعبيديين سلالة الداعية ميمون القداح ، الفرصة للوصول إلى الخلافة .

أما الشيعة، فكثير مهم غاضبون أيضًا على أبى عبد الله الشيعى، إذ يرون أنه تنكر للخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدى، وأنه رفع لواء العصيان ضده، فأصبح بذلك خارجًا عن الطاعة، منبوذًا من الفاطميين وشيعتهم فى كل زمان ومكان.

وهكذا كانت كتابات للمؤرخين السنيين والشيعيين عن أبى عبدالله

الشيعى غير منصفة لهذا البطل العظيم. ولذا أصبح أبو عبد الله من الشخصيات الكبيرة التي ظلت دهراً « تبحث عن مؤلف » . وقد رأينا أن نعطيه حقه بميزان دقيق ، وبالعدل والقسطاس . فالحياد التاريخي هو دائما أساس كل محث علمي منهجي .

ولذا أقول أنى لم أكن فى هذا البحث التاريخى سنيا ، أو شيعيا، بلكنت مؤرخا محايدا ، أعطى ما لقيصر لقيصر ، ومالله لله . والله عز وجل موفقنا فى إبراز أمجــاد أبطال تارمخنا الإسلامى، وهو ولى التوفيق &

دكتور على حسنى الخربولملي

1 Took

عرف ابن خلدون^(١) الشيعة فقال : « اعلم أن الشيعة لغـة هم الصعب والأتباع ، يطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه رضى الله عنهم » .

وفصل الشهرستانى (^{۲۲)} تعريف الشيعة فقال : « الشيعة هم الذين شايعوا ا عليًا رضى الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية ، إما جليًا ، وإما خفيًا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أو لاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده » .

ووضعت جماعة الشيعة أسماً للخلافة أى الإمامة كل يسمومهما فغالت : « ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا مجوز الرسل عليهم السلام إغفاله وإهاله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله » . ولذا ترى الشيعة أن الإمنامة أساسها « التعيين والتخصيص » ، وترى الشيعة أيضاً « عصمة الأنبياء والأعمة وجوباً عن الكبائر والصفائر (٣) » .

وبعد مصرع على بن أبي طالب ظهرت جماعة الشيعة السيئة ، وهم من غلاة الشيعة ، فنادى عبد الله بن سبأ بالرجعة ، فعلى قد صعد إلى السباء وسينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه (⁶²⁾ .

⁽١) مقدمة ابن خلدون ، ص ۳۸ .

١٤٦ ص ١٠١٠ والنجل ، ح١ ص ١٤٦ .

⁽⁺⁾ المصدر السابق -

⁽٤) البقدادي : الفرق بين الفرق، ص ١٤٣٠

تطور حزب الشيعة تطوراً عظيا بعد حرب صغين ومقتل على (1). وصبغت مبادىء الشيعة السياسية بصبغة دينية (7). وبعد مقتل على "تكون حزب ديموقراطي تألف من العناصر العربية وانضم إليهم عدد كبير من الحوالى . ثم كان لقتل الحسين نتائج هامة في تاريخ الشيعة (7) حتى أنه يمكن أن نقول إن الحركة الشيعية بدأ ظهورها في اليوم العاشر من الحرم ، وهو يوم استشهاد الحسين (3) . فقد الجهت الشيعة بعد استشهاده إتجاها دينياً ، بل غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي (6).

بدأ التشيع فكرة بسيطة واضحة محدودة المبادىء . فكان كل « من حوافق الشيمة في أن علياً رضى الله عليه الشعايه وافق الشيمة في أن علياً رضى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعى ، وإن خالفهم فيا عدا ذلك مما اختلف عليه المسلمون ، فإن خالفهم فيا ذكر نا فليس شيماً » (٦) . وتطورت آراء وتماليم الشيمة في العصرين الأموى والعباسي نتيجة تغير الظروف السياسية والسياسية الأخرى (٧) .

ف العصر الأموى، تفرعت الشيمة إلى عدة فرق. ، أشهرها : السبثية ، والإمامية، والكيسانيةوالزيدية (^{A)}. وقد اختلفت هذهالفرق فىالتفاصيل ولكنها

⁽١) أنظر كتابنا (تاريخ المراق في ظل الحسكم الأموى) ص ١٠٩ .

⁽٢) جولد تسيبر . العقيدة والصريعة في الإسلام، من ١٧٥ .

⁽٣) العراق في ظل الحسكم الأموى، ص ١٣٢ (من أأليفنا) .

⁽٤) حتى: تاريخ العرب ، ح٢ ص ٢٥٣ .

 ⁽ه) جواد تسيهر : العقيدة والفعريعة، ص ١٧٦.

⁽٦) ابن حزم: الفصل في الملل والتحل، ح٢ ص ١١٣.

⁽٧) أنظر كتابتا (العراق في ظل الحسم الأموى) من ٢٠٧ - ٢٠٧٠.

⁽٨) الشهرستاني : اللل والنعل، ح٧ س ٢٣٤ .

اتفقت جميِّمها فى أن علياً أحق للسلمين بالإمامة ، والقيام بالأمر فى أمته(١) .

أما السبئية فهم غلاة الشيعة ، فقد غالوا فى خلع الصفات على الإمام على ابن أفى طالب (٢٠ . أما الشيعة الإمامية ، فقد انفقت على أن الرسول قد نص على إمامة حلى « باسمه وعينه و نسبه و نصبه للناس إماماً واستخلفه وأظهر الأمر فى ذلك إلى غيره ، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره (٣٠ » . والشيعة الإمامية تقول بعودة « إمام منتظر » ولكنها تختلف فيمن هو ذلك الإمام للنتظر . أما الكيسانية فقد ظهرت على يد المختار الثنفى ودعت لإمامة محمد بن على بن أفى طالب المعروف بابن الحنفية (٤٠) .

وفى أواخر العصر الأموى ، ظهرت عدة فرق للشيعة نتيجة تطور مبادى ، الشيعة السياسية والدينية . فقد اتجهت الشيعة إلى الدعوة السربة أو ما يسمونه « التقية والكمّان » ، نقيجة اضطهاد الخلفاء والولاة الأمويين لجماعات الشيعة . ويبيح مبدأ التقية الاختفاء وكمّان العقائد ، إذ تعرضت الشيعة للخطـــر أو الضرر . وبذلك أصبحت الشيعة أقدر النــرق الإضلامية على الدعوة السرية .

⁽١) ابن نشوان: الحور المين، س ١٥٣.

⁽٢) ابن عبد ربه: العقد الفريده ح٢ ص ٤٠٤.

⁽٢) ابن نشوان : الحور الدين، ص١٣٥٠ .

 ⁽٤) أنظر كتابنا (المغتار الثقني) في سلسلة أعلام العرب تجد كثيراً من التفاصيل •

⁽ه) ابن هبد ربه: المقد القريد: ×٢ س ٤٦٩ .

أما فرقة الهاشية، فقد تفرعت عن الكيسانية، وأجمت على أن محمد بن الحنفية قد أوصى إلى ابنه عبد الله بن محمد المصروف بأبى هاشم بالإمامة من بعده (٢٠). وقد نظم أبو هاشم الدعوة، وجاهد فى ضم صفوف الشيعة، سواء أكانوا غلاة أم معتدلين مادام مجمعهم كراهية الأمويين . وانقسمت الفرقة الهاشمية بعد أبى هاشم إلى عدة فرق ، أشهرها فرقة المنتظرين التي ترى أن أباهاشم أوصى إلى ابن أخيه الحسن بن على بن محمد بن الحنفية ، وأن الحسن أوصى إلى ابنه على ، ولكن هذا الأخير مات دون أن يعقب ولداً ، فهم ينتظرون رجعة ابن الحنفية ، والفرقة الثانية المباسية ، وترى أن الإمام بعد أبى هاشم هو محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الذى يذهب إلى أن أبا هاشم قد تنازل له عن الإمامة (٤٤).

انفرد المباسبيون بالخلافة سمنة ١٣٧ ه، وفامت ضدهم ثورات عاوية متتابعة ، أشهرها ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن ، المعروف بالنفس الزكية ، في عهد الخليفة المباسى الثاني أبي جعفر المنصور ، وثورة الحسين بن على في عهد الخليفة الرابع الهادى ، وثورتى يحيى وإدريس ابنى عبد الله في عهد الخليفة الخامس هارون الرشيد . وقد تولى كل هذه الثورات الشيعة الزيدية .

⁽١) ابن النديم : الفهرست ، ح٣ ص ٥٦ .

⁽٢) أُنظر كتابنا (ناريخ العراق في ظل الحسكم الأموى) من ٢٠٩ - ٢١٠ .

⁽٣) ابن نشوان : الحور الدين، من ١٩٠ .. ١٦٠ .

١٦٥ – ١٥٩ من ١٩٥٠ – ١٦٥ -

أما الشيعة الإمامية ، فقد تولى زعامتها فى مطلع العصر العباسى ، الإمام جمغر الصادق ، وهو ابن محمد الباقر ، وحفيد الإمام زين العابدين . وقد فضل هذان الإمامان الأخيران الركون إلى الهدوء والاشتغال بالعلم والدين . وأصبح جمغر الصادق الإمام السادس من أثمة الشيعة الاسماعيلية (٨٣ — ١٤٨٨) . وكان يرى أن الخلافة من حق الأثمة أحفاد الحسين بن على ، ينما قام بالثورات المارية أثمة من أحفاد الحسين بن على . وقد اشتهر الصادق بالتقوى والعلم والزهد (١٠) .

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق (سنة ١٤٨ه) ، اقسمت الشيعة الإمامية إلى طائفتين : طائفة الإمامية الموسوية التي قالت بإمامة موسى الكاظم بن الإمام الصادق ، وهو عندهم الإمام السابع (٢٠) ، وقد نقلت هذه الطائفة الإمامة بعد موسى إلى ابنه الإمام على الرضا ، ثم إلى الإمام محمد الجواد ، ثم الإمام على المادى، ثم إلى الإمام محمد المنتظر، فيصبح الإمام الثانى عشر ، ولذا يطلق على هذه الطائفة إسم (الشيعة الإمامية الاثنا عشرية) ، وقد دخل الإمام محمد سردابا ، ثم اختنى (سنة ٢٦٠ه) ولذا فشيعة تنتظر عودته (٢٠)

⁽١) الشهرستاني : الذل والنجل ، ح٧ س ٢٧ .

⁽۲) الفخرى، ۱۷۸ .

⁽٣) أنظر كتاب فرق الشيعة الثوبخق، ص ٧٥ وما بعدها .

لا مجال لمناقشها هنا ، ولكن طائفة من الشيمة تمسكت بولامُها لاساعيل ولم تعترف بتحويل الإمامة إلى موسى . (١)

توفى اسماعيل في حياة أبيه الصادق سنة 20 ه ، فانتقلت الإمامة منه إلى المحد، فأصبح الإمام السابع ، وتطلق على هذه الطائفة إسم (الإمامية السبعية) وبهدا الإمام يبدأ دور الأثمة المستورين ، فقد استنز الأثمة ، وتولى دعاتم نشر الدعوة لهم . وكان ميمون القداح هو أشهر دعاة الإمام محمد ابن اسماعيل . وبعد وفاة هيذا الامام انتقلت الامامة إلى ابنه عبدالله الرضى الذي استر أيضاً واعتمد على كبير دعاته عبدالله بن ميمون القداح . وتتبع العباسيون هذا الإمام ، فتنقل هو وإبنه أحمد في كثير من الأمصار ، ثم استقر في قرية (سلميه) في بلاد الشام ، التي أصبحت (داد هجرة) الشهمة لأثمة الاسماعيلية . (٧)

ثم تولى الإمامة الإمام أحمد بن عبدالله الرضى، الذى اعتمد فى الدعوة على عبدالله بن ميمون ، واتسمت دائرة الدعسوة الاسماعيلية فى أرجاء العالم الاسلامى . ثم خلفه ابنه الامام الحسين الذى وجه اهمامه إلى نشر الدعوة الاساعيلية فى بلاد اليمن ، وقد تولاها الداعيان الكبيران ابن حوشب وعلى ابن فضل منذ سنة ٢٦٨ ه ، ومن اليمن امتدت الدعوة إلى كثير من الأقطار الاسلامية ألى ثم رأى الإمام نشر الدعوة الاساعيلية فى بلاد المغرب ، فاختار داعية هو (أبو عبدالله) وبعثه إلى ابن حوشب باليمن لتدريبه على وسائل الدعوة (سنة ٢٧٨ ه) .

⁽١) الشهرستاني ، الملل والمحل، ح٢ ص ٢٨ وما بعدها ٠

⁽٢) النمان : افتتاح الدعوة، س ٣٣ وما بعدها.

⁽٣) الصدر السابق، من ٤٠ ــ ٤١.

١ ـ فجر الحياة

اعتاد الباحثون في التاريخ أن يلاقوا صعوبات شديدة في دراسة فجر حياة أبطال التباريخ ، الذين كانوا في فجر حياتهم مجرد أفراد في مجموعات كبيرة ، لا يعرف الناس ما تخبئه الأقدار لهم من شهرة وأمجاد. فلا يزالوا في أول الطريق ، ولم تسسلط عليهم بعد الأضواء المكاشفة التي تبرز عظمتهم وجهدودهم ، لذا فأخبار هؤلاء الأبطال في فجر حياتهم تكون عادة قلئة مضطربة .

ويظهر الاضعاراب فى تاريخ فجر حياة أبى عبدالله الشيعى ، فى كثير من الجوانب ، أبرزها اختلاف المؤرخين القدامى حول اسمه . فنجد ابن خلدون فى كتاب العبر (⁽¹⁾ ، والمتريزى فى كتاب (الحامل) (⁽²⁾ ، يذكران أن اسمه هو « الحسن بن أحد بن محمد بن زكريا » . ينيا برى المقريزى فى كتابه الآخر (اتماظ الحنفا) (⁽²⁾ والتاضى النمان (⁽³⁾ فى رسالته (افتتاح الدعوة) يسميانه (الحسين) مع الاحتفاظ بباقى النسب . ونحن نؤيد التسمية الثانية التي وردد ذكرها فى كثير من المصادر التاريخية الأخرى (⁽⁶⁾

واختلف المؤرخون الأقدمون أيضاً في الموطن الأول لأبي عبدالله ، مثاما

⁽١) ابن خلدون : المبر. ح٣ ص ٣٦٢ إ

⁽۲) القريزي: المطعل، ۱۰ س ۲۰

۱۵۱ س۱۶ س۱۶ س۱۹۰۱ الحتفاء ۱۹۰۰ س۱۹۰۰

 ⁽٤) النمان: رسالة افتتاح الدعوة ، س ٩ ه (طبعة بيروت ٢٠٦٠) .

⁽ه) إن الأثير : الكامل هـ ٨ ص ٢١ ، ابن خلسكان: ونبات الأصيان، ١٠ ص ١٤٠ . ويأخذ أستاذنا الدكتور حسن إ براهيم (الدولة الفاطمية س ٤٧) بالرواية الني تجعل اسم عبد الله هو (الحسن) .

اختلفوا في اسمه. فذكر التاضى النمان ^(۱) أن أصله من الكوفة ، ينيا قال المترينى ^(۲) أما ابن الأثير ⁽⁴⁾ وابن خلكان ⁽⁴⁾ فيذكران أن أبا عبدالله من مدينة صنعاء باليمن. ويؤكد ابن عدارى ^(۲)هذه الحقيقة ويسمى أبا عبدالله بالصنعاني.

ويمضى المؤرخون فى إختلافهم ، فقد أختلفوا فى الوظائف التى وليهما أبو عبدالله قبل قيل أنه كان عمدالله قبل قبل أنه كان محتباً (١) بسوق الغزل فى البصرة ، وقيل إيما المحتسب أخوه أبو العباس عجد (٨).

أشهر أبو عبدالله باسم (المعلم) لأنه « كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية » (أكان الشهر أبو عبد الله أيضاً باسم (الصوفى) ، فقد كان يرتدى الخشن والمرقم من الثياب الصوفية (١٠٠٠)

ويطلق القاضي النعمان (١١) على أبيعبدالله أيضًا اسم (صاحب البذر)،

⁽١) افتتاح الدموة، ص ٥٥٠

⁽٢) اتماظ الحنفاء حد س ٥٥ .

 ⁽٣) كتب بالون الحموى : اسم هذه المدينة متصلا ، وذكر أنها تتأف من لفغاين :
 (دام) وهر كلمة فارسية معناها (مقصود) أو (مراد) و (هرمز) وهو أحد الأكاسرة (أنظر حاهية انطاط الحنفاء ٩ ص ٩ ه) .

⁽¹⁾ الكامل: حد ص ٣١ °

⁽ه) وفيات الأعيان، حا ص ٤٤٣ .

⁽١) البيان، ١٦٠ س ١٢٤ .

 ⁽٧) خلاسة مهام المحتسب (الأمر بالمروف والتهي عن المتسكر)أنظر الأحكام السلطائية
 الهاوردى .

 ⁽A) ابن خلدون : العبر، حدة ص ٣١، المقريزي : اتماظ الحنفاء حدا ص ٥١ .

⁽٩) اتساظ الحنفا، ١٠٠٠ س ٥٩ .

⁽١٠) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، س ٧٧٠

⁽١١) افتتاح الدعوة ، ص ٥٨ .

إذ نجم فى بذر بذور الدعوة الفاطعية فى أراضى بلاد للغرب، وتمهدها بالرى والعناية ، حتى أتت ثمارها فقامت الدولة الفاطمية. وكان قــد حرث هــذه الأرض قبله أبو سيفان والحلوانى، الداعيان الشيميان.

وأبرز للثورخون صفات أبى عبدالله وعلمه ودهائه، فوصفه ابن الأثير (١) بأنه كان على علم وفهم ودهاء ومكر. ووصفه المقريزى (٢) بأنه «أحد رجالات المالم القائمين بنقض الدول وإقامته المالك المفليمة من غير مال ولا رجال ». ووصفه ابن عذارى (٩) بأنه كان ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة وقال ابن خلكان (٤) عنه أنه كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ، ورغم انتقاد القاضى النجان (٩) ، في آخر رسالته ، لموقف أبى عبدالله الشيعي من الخلينة الفاطمي الأول عبيد الله المهدى ، فقد قال عنه : « وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة ».

⁽۱) السكامل: مه س ۳۰۱ ·

⁽٧) اتماظ الحنفاء حه س ٦٨٠

⁽٣) البيال، حاص ١٣٤ .

⁽٤) وَلَيَاتَ الْأَعْيَانَ، ٢٠ س ٢٠

⁽٥) افتتاح الدعوة، ص ٩٠.

٣ __الأستاذ والتلميذ في الممين

عرفت بلاد المين الدعوة الشيمية منذ العصر العباسي الأول ، وأدرك الخليفة المأمون خطورتها على النفوذ العباسي ، فقد قامت في الهين في عهدد حركتان شيميتان (١) ، وكان الدافع لأهالي الهين في المشاركة في الحركتين ، هو مظالم الحميم العباسي (٢) . ولما كانت بلاد الهين بعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بعداد ، فقد رأى المأمون مواجهة انتشار النشيم في الهين ، باقامة حكم قوى ، فولى محد بن إبراهيم الزيادي (٢) . وقد انتهج المأمون منهج أبيه هارون الرشيد حين اختار إبراهيم بن الأغلب لحمكم أفريقية سنة ١٨٤ ه ، وأطلق يدين اختار إبراهيم بن الأغلب لحمكم أفريقية سنة ١٨٤ ه ، وأطلق يدين اختار إبراهيم بن الأغلب لحمكم أفريقية سنة ١٨٤ ه ، وأطلق الدوارسة العادية بالمغرب الأقمى (٤).

ووصل الزيادى إلى النمين سنة ٣٠٧ ه ، ونجح فى تثبيت أقدامه ، وأختط مدينة (زبيد)^(٥) وجعلها مركز حكمه . ومد نفوذه إلى تهمامة وحضرموت والشحر ولحج ودبار كنده^(٦) ونجح الزيادى فى إرساء قواءد دولة ، تحمكم النمين ، ويتوارث أبناؤه حكمها ، ويكون لها استثلال ذاتى، مع إستمرار ولائها السياسي للدولة العباسية .

 ⁽١) تزءم الحركة الأول إبراهيم بن موسى سنة ٢٠٠هـ، وتزعم الحركة الثانية عبد الرحن بن أحمد سنة ٢٠٧هـ، وهما من سلالة على بنأي طالب (الطبري ح٧س ٢٤٤ – ١٩٤هـ ١٤.

⁽۲) الطبرى مـ ۷۰ ص ۲۹ م. ۱۳۵ - مـ د الاتتام الدياد الدياد

 ⁽٣) وهو من سلالة زياد بن ابي سفيان، المعروف بابن أبيه، والى معاوية بن أبي سفيان
 (١) أنظر أخبار هذه العولة في كتاب (الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى) ١ الطمعة الدار السفياء سنة ٤٩٥٤

⁽٥) تلم مدينة ربيد في تهامة اليمن ، وكانت تسمى في الأصل وادي محصب ،

⁽١) عمارة اليمني : تاريخ اليمن، ص ٣٠ وما بعدها .

ولكن الدولة الزيادية ما لبثت أن تصدعت فى عهد أبى الجيش اسحق بن إبراهيم الزيادى (٣٩١ - ٣٧١ ه) ، فتار عليه أسمد بن إبراهيم بن محمد بن يعفر واستولى على صنعاء وحكمها (٣٠٥ - ٣٣٣ م) كما تار عليه تحيى بن القاسم الرسى المعروف بالهادى ، الذي كان يدعو للزيدية ، وأنشأ دولة بنى الرسى فى صعدة (١٠).

وهكذا أصبح فى المين ثلاث دول صغيرة:الدولة الزيادية فى زبيد، ودولة بهى يمغر فى صنعاء، ودولة بنى الرسى فى صعدة .وكان هذا الإنحلال هوالسبب الذى جمل الدعوة الاسماعيلية الفاطمية الشيمية تجد طريقها إلى بلاد المين ^{(٧٠}) .

وكانت الدعوة الإسماعيلية قد اجتازت دور الستر، وتبلورت ونشطت واتسع نطاقه. وكان أئمة الإسماعيلية قد اتخذوا مدينة (سلمية) من أعمال حماة بيبلاد الشام مركز النشر دعوتهم، ومنها يوفدون دعاتهم إلى سائر الأمصار. وكان يطلق على هؤلاء الدعاة إسم (الحجيج)أو (نواب الأثمة)، وبرز من بينهم شخصيات كبيرة كان يطلق عليها إسم (عار الدعوة) ، وامتد نشاط هؤلاء الدعاة إلى بلاد المين والمغرب وفارس.

وكان ميمون القداح (٣) هو أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة أو نائبا لهم ، تم خلفه ابنه عبد الله ، الذى اشهر كأبيه باسمهُ القداح ، وقد نجح في ضم صفوف الشيعة و توحيد جهودهم ، والإنطلاق بالدعوة الإسماعيلية ، ورسم لها معالم الطريق، ووفراها التنظيات الدقيقة (٤).

⁽١) الصمر السابق، س ٣٨٠

⁽٢) حسين بن قيش الهمذان اليمرى : الصليجيون والمركة الفاطمية، من ٢٨.٠

⁽ ٣) كان يفتغل بالقداحة أي طب الميون. ٠٠

⁽٤) المفريزى: التحلط، ج٢ س ٢٤٧ وما بعدها .

قسم عبد الله العالم الإسلامي إلى مناطق رئيسية ، وجبل على كل منها واحدا من أبنائه أو أحد كبار دعانه الشهورين، ويتركز فضل. عبدالله فأنه نغل الدعوة من دور التأسيس والتبكوين وخلق المبادىء النظرية إلى دور العمل (١٠).

وبعد وفاة عبد الله بن ميمون ، خلفه ابنه أحمد في قيادة الدهوتة الإسماعيلية (٢٠ وقد وجه اهمامه إلى نشر الدعوة في بلاد البين، فبعث إليهاسنة ٢٣٨ مداعيتين من أكبر دعاة الإسماعيلية ، وهما على بن الفضل البياني وان حوشب (٢٠).

أما ابن حوشب (⁴⁾ ، فهو من أهالى الكوفة ، وقد استدعاه أحمد بن. عبد الله القداح إليه « وألقى إليه مذهبه نقبله ،وسيره إلى النمين ، وأمره بلزوم العبادة والزهد ، ودعا الناس إلى المهدى ، وأنه خارج في هذا الزمان (⁶⁾ » . ي

وابن حوسب هو أستاذ أبى عبد الله الشيعى ، فيقول القياضي النهان (؟) أن أبا عبد الله قد أخد الدعوة عن ابن حوشب « وبآ دابه تأدب » . وتحدث النهان عن ابن حوشب ، فقال أنه من أهل الكوفة « من أهل ييت علم.

 ⁽١) حسن ليراهيم وبله شيرف : جبيد الله المهدى، ص ١١٧ .

 ⁽۲) المقريري: اتماظ الحنفاء خا س ٢٦ و والقب أحمد بن عبد الله بأبي المقلم .

⁽٣) اختلف المؤرخون في تفاصيل اسم أبن جوشب بياند الأبور: (السكامل مـ ٨ ص

برای احتصاب موروسون ما متاسین اسم بریم جوهب بهیری ادبیر. را استحال ، ه می می است را استحال ، ه می می است را خلدون (الدیر ح ۳ م را ۱۳۹۳) یقا کران آن است عو (را دان) ، (اتعالا حوضب بن دا دان النجار) ، یتنا بری القریزی آن البد الاً کبر هو (را دان) ، (اتعالا المنقا ح ۱ س ۶۰) ، و یذکر النجال (افتتاح الدعوة می ۳۳) الآن: استه غوار (ابو القاسم المستن بن فردان السکون)...

 ⁽a) المقريري : اتماط الحنفا ح اس ٤٩ س

⁽٦) افتتاح الدعوة ص ٣٢

و نشيع » ، وقد درس الترآن الكريم والحديث والفقة ، وكان فى أول أمره يعتنق تعاليم الاثنا عشرية أصحاب محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر الصادق ، وكان يعتقد أنه المهدى ، ثم أصبح من أبرز دعاة الإسماعيلية ، فصار يدعو للامام محمد الحبيب^(۱).

وهُذا بِدل على أن الاثنا عشرية كانوا دأمًا منهلا تنهل منسبه الدعوة الإسماعيلية ، حتى إن كبار دعاتها وزجالاتها كانوا دائمًا من الاثنا عشرية ، وكان من اليسير حيثلذ التنقل من مذهب سيعى إلى مذهب شيعى آخر (٢).

اهم الاسماعيليون بنشر دعومهم فى بلاد اليمن ، مدفوعين بعدة أسباب منها بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسيون قد ضيقوا الخناق على الشيمة جميعاً . كما أن الظروف السياسية فى الهن كانت نفسح المجال لانتشار الدعوة الاسماعيلية ، نقيجة ما أصاب جمدة البلاد من المحلال سياسي (٣) ولوجود فئات كثيرة من الشيعة ، وخاصة الشيعة الزيدية ، إلى جانب ميسل كثير من أهالي الهن إلى التشيع ، "مما يوجد أسسا وطيدة عكن بناء الدعوة الاسماعيلية عليها .

كمان الاسماعيليون يمتقدون أن بلاد اليمن هي الأرض الصالحة لإقامة دعوتهم ، فيقولون : « البيت يماني ، والركن يماني ، والدين يماني ، والكممة يمانية ، ولن يقوم هذا الدبن ويظهر أمره إلا من قبل اليمين ⁽⁰⁾ »

⁽۱) المصدر السابق س ۳۳

⁽٧) حسن ابراهيم وطه شيرفسين عبيد الله المهدي ض ٧١١.

⁽٣) الهمدابي اليمبرى 3 العبليجيون توالحركة الفاطمية من ٣٦ ٪،

 ⁽٤) الديمازي : صيرة المؤيد (تحقيق د عمد كامل حسين صيره ٣٦) .
 (٥) النمان : افتتاح الدعوة من ٣٨ ، الحادى اليدى : كشم أسترار الناطنية وأخبار

القرامطة س ٣٣ °

. وصل ابن فضل المجانى وابن حوشب إلى بلاد الىمين فى أول سنة ٣٦٨ ، فأقاما بالىمين سنتين يدعوان مستقرين . ثم ظهرت الدعسوة جهرا باللمين سسنة ٣٧٠ هـ (١)

وبدأ الداعيان نشاطاً عسكريا من أجل الديطرة على بلاد البمن ، بعد أن نجحا في العامين السابقين في جذب كثير من المنيين إلى التشعم ، بما أظهراه من تدين وتقوى وزهد (٢٠ كا أن ابن حوشب تروج من ابنة أحمد ابن عبدالله بن طبه أله أنساره المن عبدالله بن طوسب (٢٠) ،

حل ابن فضل لواء النشاط المسكوى ، يدناكان معظم اهمام ابن حوشب موجها نحو الدعوة . ونجح ابن فضل فى السيطرة أعلى مناطق واسعة فى يلاد الين ، وتوج انتصاراته بفتح صنعاء (٤٠ كما استولى على مدينة زبيد مركز الدولة الزيادية (٥٠ . وسيطر على لحج ، ودانت له قبائل مذ حج بالطاعة (١٠)

ولكن ابن حوشب كان يرى وكيز الجهود فى الدعوة ، والاقتصاد فى النتوحات المسكرية ، ولذا بعث إلى ابن الفضل ، بعـد فتحه صنعاء ، يشير عليه بوقف الزحف العسكرى . ولكن ابن فضل لم ينصت إلى نصيحة ابن

⁽١) النمان • افتتاح الدعوة س ١٩ .

⁽٢) الهمداني اليعرى: الصابحيون والحركة القاطمية من ٣٣ .

 ⁽٣) التعمان : افتتاح الدعوة س ٤٥. وكان ابن يعفر قد سجون أحمد من عبيد الله بن ضايم وماث ني سجنه.

⁽٤) همارة اليمني : تاريخ اليمن ص ١٦٨ وما بعدتا .

⁽ه) الصدر البابق س ۱۷۰

⁽٦) المهماني اليجرى . الصليحيون والحركة الفاطبية س ٣٦ .

حوشب ، مما جمل الداعيين يفترقان في طريقهما ، فقد أعلن ابن فضل الممسان غلى أثمة الاسماعيلية ، وهدد ابن حوشب بالقتال إن لم يدخل في طاعته (١٠). وأراد ابن فضل كوين دولة اسماعيلية مستقلة ، أســـوة بدولة القرامطة (٢٠). واشتباك الداعيان في معارك عنيفة ، وانتهى الخصام بالصلح (٢٠).

واستمر ابن حوشب على اخلاصه للإمام الإسماعيلى ، ومضى فى جهوده من أجل الدعوة الإسماعيلية . فبنى حصنا بجبل لاعة ، قرب عدن ، وكان معظم سكان هذه المنطقة من الشيعة ويعرفون ببنى موسى ، وقد أموهم ابن حوشب « بالاستكثار من الحيل والسلاح » (⁽²⁾

ومن عدن ، بعث ابن حوشب ابن أخيه الهيثم إلى السند لنشر الدعوة الإسماعيلية (٥) . وانتقلت أخبار جهزد ابن حوشب إلى الشيعة في بلاد العراق فهرعوا إلى بلاد العين ، هرباً من وجه العباسيين . ولا غرو أن اكتسب ابن حوشب اسم « منصور الهمر، » بعد هذه الانتصارات الرائعة .

وبعد هدده الجهود الواسعة النطاق ، كتب ابن حوشب إلى الإمام محمد الحبيب يصف له مدى انتشار الدعوة الإسماعيلية ، وأرفق بالرسالة كثيراً من الهداؤ الفاخرة والأمه ال

⁽١) عمارة اليمني: تاريخ اليمن من ١٧٠ -- ١٧١ من

 ⁽٢) الصنيعون والحركة الفاطمية من ٤٠ وما بمدها : تامر عامر : الفرامطة سن ١٣٩ وما بدها . |

⁽٣) عمارة اليمني: تاريخ اليمن ص ١٧٢ .

⁽٤) القريزي اتماظ الحنفاح اليساه .

⁽٥) النممان : افتتاح الدهوة من ١٥ .

 ⁽٦) المقريزي: الطلط الصفاء من اله ، أأفتتاح الدعوة من ٥٥ حـــ ٥٠ ، الحادى البهائن أسرار الباطنية من ٧٧ ، قال النصان إن الهدايا شملت طرائف اليمن وطرزها

واهتم ابن حوشب بنشر الدعوة الإسماعيلية خارج بلاد الىمين ، فأرسل دء ته إلى الىمامة والمحرين والسند والهند ومصر وللغرب^(١).

ووجه الإمام الإسماعيل محمد الحبيب اهتمامه إلى بلاد للنسرب ، فرأى أن يكون نشر الدعوة الإسماعيلية فيها هى الخطوة الثانية بمدنجاح انتشارها فى بلادالمين .

وكان رجلنا أبو عبد الله الشيمي قد بدأ انصاله بالإمام محمد الحبيب الذي « رأى أهليته ، فبمث به إلى ابن حوشب ، صاحب الهين ، وأمره بامتثال أمره والاقتداء بمبرته ، ثم يذهب بعدها إلى المفرب ، ويقصد بلد كنامة ۲٪».

لم يتجه أبو عبد الله الشيعى إلى المغرب مباشرة ، فقد رأى الإمام أنه فى حاجة إلى « دورة تدريبية » يتلقاهـا على يد أسـتاذ كبير له خبرته الواسـعة فى الدعوة الإسماعيلية ، وقـد أثبت نجاحه عمليًا فى نشرهـا فى أرجاء بلاد البمن .

وبدأ تتلد أبى عبد الله الشيعى على أيدى أستاده ابن حوشب ، منصور الهين ، الاستجابة لأمر الإمام الإساعيلي . فقد كتب الإمام إلى ابن حوشب رسالة عهد فيها بأبى عبد الله إليه « ببصره ، وبرشده ويلقنه » (٣٠).

وقدم أبو عبد الله على ابن حوشب، فلزمه، وشهد مجالسه، ، وأفاد من

 ⁽١) افتتاح الدعوة ص ٤٧ -- و بذكر الدمان أيضا (س ٣٥) أن داعية ابن حوشب في مصر كان أبو عمد عبد الله بن عباس وهو الدى استغلام على الدعوة بعده

 ⁽۲) القريزي: اتماط العنفا ص ٥٩.
 (۲) انتتاح الدعوة ص ٥٩.

علمه (۱) ومما ساعد على توثيق الصلات بين الأستاذ والتلميذ ،أن ابن حوشب كان بعرف أبا عبد الله من قبل ، ويشهد له بالنبوغ والفضل ، ولذا فإن ابن حوشب «قرب مجلمه ، وأدنى مكانه ، ورفع من قدره ، وسحبه فى جميع غزواته (۲).

⁽١) اتسانا. المعتفاح ١ ص ١٥ .

⁽٢) افتتاح الدعوة س ٢٠٠

٣ -- الحارثان وصاحب البذر

انتهت «الدورة التدريبية »، وآن الأوان ليتخزج أبو عبد الله الشيعى من «ممهد » ابن حوشب لإعداد الدعاء الإسماعيليين في الهين. أما العمل المناط به هذا « الحرج »، فهو الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، كا حدده الإمام محد الحبيب حين بعث هذا «التلميذ الحجتهد » إلى الأستاذ القدير في الهين.

وكان الإمام موقناً أن بلاد المفرب هي المكان الصالح لتتحقيق الآمال القديمة بقيام دولة إسماعيلية فاطمية علوية شيمية ، حتى أن الإمام قال لابنه عبيد الله بعد أن سمع بانتصارات ابن حوشب في المين . هذه دولتك قد قامت، لكن لا أجد ظهورها إلا من المفرب »(١) كما قال الإمام أيضاً لولى عهده عن هذه الانتصارات : « هذه ثمرة ألهمك و حركة دولتك »(١) .

وحدد « الأستاذ » ، منصور اليمن ، ميقات انطلاق تلميذه النابغ إلى

⁽١) أبن الأثير: الكامل ج ٨ ص ١٧٠

⁽٢) الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية م ٣٧ .

⁽٢) العاظ الحنفاج ١ س ١٥٠.

م.مته الكبرى، وهو « وقت خروج أهل البمن إلى مكة للحج» (١)

ودقت ساعة العمل، وبدأ أبو عبد الله رحلته التاريمية ، ليكتب اسمه في سجل الخالاني . والتقي ابن حوشب بتلميذه ليقول له : « إن أرض كتامة من الغرب قد حرثها الحاواتي وأبو سقيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك » (٢) . وأمد ابن حوشب أبا عبد الله بتدر كبير من المال ، وإختار له رفيقا في سفره ، هو عبد الله بن أبي الملاحف . وغادر أبو عبد الله اليمن في تكتم شديد وفي سرية تامة ، فيقول القاضي النمان أبن عوشب «كان إذا بعث رجلالوجه من الوجوه ، لم يعلم ذلك بمسيره أحدا من أهل ولا ولد ، لامن قريب ولا بعيد ، ولا يعرف أين يتوجه ولا أين من أهل ولا ولد ، لامن قريب ولا بعيد ، ولا يعرف أين يتوجه ولا أين

أصبح أبو عبد لله الشيعي هو «صاحب البذر» كما ساه الحلواني، وقد حفظ لنا التاضي النهان هذه التسمية. وقد ظلت أرض المغرب محروثة، في شوق شديد إلى البذور، على مسدى سنوات طويلة . اختلف المؤرخون في تحديدها ، فيرى ابن الأثير (٤) والمغربزي (٥) أن الإمام جمغر الصادق قد بعث الله اعيتين سفة ١٤٥ هـ فيسكون بين دخولها المغرب ودخول أبى عبد الله ١٤٥ هـ فيسكون بين دخولها المغرب ودخول أبى عبد الله وخس وثلاثين سنة ، ينها حسدد القاضي النمان (٢) هسيده السنوات بمائة وخس

⁽١) النصال: افتتاح الدعوة ص ٦٠ "

⁽٧) اتماظ الحنفا ح ١ ص س ٥٥ ،

⁽٣) افتتاح الدعوة ص ٦٠ .

⁽٤) ج ٨ ص ١١ .

⁽٥) اتماظ الحنفا ء ١ ص٠٠٠ .

⁽٦) افتتاح الدهوة س ٥٨

فين هما هذان الحارثان ؟ ... ومن بعثهما إلى للغرب؟

يكاد يجمع المؤرخون الأقدمون على أن هد فين الداعيين ، أبي سفيان والحلوافى ، قد بعشهما الإمام جعفر الصادق (١) . ولكن صاحبي كتاب (عبيد الله المهدى) (٢) يخالفان هؤلاء المؤرخين ، فيقولان : « إن إرسال الحلوافي وأبي سفيان كان على بد ابن حوشب في عهد أحمد بن عبد الله القداح ، وإن ذلك لا بد أن يكون بأمر الإمام الحسين وحجته أحمد بن عبد الله إلقداح، لأنه لا يعقل أن ينفرد ابن حوشب بأمر دوجها . كا نستطيع أن نفهم اجهاد هؤلاء جميعا في نشر الدعوة الإساعياية في البلاد النائية ، فقد أدر كوا نجاحها في بلاد اليمن ، ومن ثم حمادا على أن يضعوها موضع التجربة كذلك في أبريقية . كا نرى أيضا أن إرسالهما بحب أن يكون بعد سنة ٧٧٠ هـ ، حيث نجر ابن حوشب في أداء مهمته و لسي ينصور اليسن » .

ومع تقديرنا لاجهاد المؤلفين الفاضلين في كتابهما القيم ، فإننا لانواضهما على هذا الرأى . وإن من يترأ رسالة الافتتاح لقاضى النمان ، المتوفى سنة ٣٩٠٠ هـ ، والتي تم تحقيقها وطبعها ونشرها مؤخرا في بيروت سنة ١٩٧٠ ، ليجد كثيرا من التفاصيل حول هذين الداعيين ، نما يمكن من أن يستنتج أنهما عاشا في عصر سابق تماما لعصرا بن حوشب . وخاصة أن النمان بكتب بغد قيام الدولة الفاطبية ، يتليل ، فكتب في النصف الأول من الترن الرابع بعد قيام الدولة الفاطبية ، يتليل ، فكتب في النصف الأول من الترن الرابع النعان مطلعا على كل أمرار هذه الدعوة ، فقد كان النعان قاضي قضاة الدولة الفاطبية ، وهو أيضا من كبار الدعاة الفاطبيين .

 ⁽١) ابن الأدير: الكامل ج ٨ ص ١٠ - ١١ ، المفريزى : اتماط الحناج ١٠ ص.
 ه ، التعمان : إفتتاح الدعوة ص ٤٥.
 (٢) حسن ابراهيم وطه مفرف : عبيد أنة للمدى في ٥٥.

رسم الإمام جعفر الصادق الطريق أمام أبى سفيان والحلوانى ، فقد « أمرهما أَنْ يبسطا ظاهر علم الأثمة من آل محمد صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم ، وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ، ثم يفترفان ، فينزل كل واحد منهيا ناحية »⁹.

نزل أبو سفيان قوية تسمى « مر ماجنة » (۲) ، وفى مكان منهما يسمى « تالا » أو « تالة » (۲) ، حيث ابتنى مسجدا ، « وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت صلوات الله عليهم منه ، ويأخذونهاعنه » وأصبحت مرجانة « دار شهمة » (٤) ،

أمما الحلوانى ، فقد رجل إلى منطقة (سوجمار) (^(a) ، فنزل ناحية تسمى « الناظور » (^(r) ، وتحدت الفافنى النجان عن جهوده فقال ؛ « وكان فى العبادة والفضل والعلم علما فى موصقه ، فاشتهر به ذكره ، وضرب الناس من القبائل إليه ، وتشيع كثيرمنهم على يدبه من كتامة (^(r)) و نفزة وسهاته » .

⁽١) التممان : افتتاح الدعوة ص ٥٤ .

⁽٢) وهي قرية قديمة في تونس، تقع على مرحلة منسبيبة (مسجم البلدان حدم ١٠٩٠)

 ⁽٣) وهي مدينة تونسية قديمة لاترال باقية حتى اليوم ، وتقم على بعد ١٧ ميلا شرق المعدود آلجز أثرية .

 ⁽³⁾ التعدان : افتتاح الدعوة من هاه .
 (4) ذكر ابن الأثير (السكامل ح ٨ س ٣٩) أن اسم هذه المتطقة هو (سوق حمار)

ولـكننا نفضل لفظ (سوجار) كما ذكرها النمان (س٧٥) (٦) جثوب واهى بمماية على مرحلتين من قرية تاروت العامرة (أنظر حاشية رسالة

افتتاح الدهوة من ٧٥٧ (٧) كتامة إحدى تبائل المفرب السكييرة وأبناؤها من البربر وينتسبون إلى كتم بن بر ندر بن بر ، وكانوا يعيشون في مكان حصين في جبل لميسكمتان

وبشر الحلوانى أهالى المنوب بقدوم من يبدر الأرض التى حمرتها هو وزميله أبو سفيان ، فقال الحلوانى : « بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنسا : اذهبا إلى الذرب ، فإنما تأنيان أرضا بورا فأحراها واكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيحدها مذللة فيبذر حبه فيها »(1)

ثم مات الداعيان ، وقد مانا فى وقت متقارب^{(٢٧} ، وقد تُوكا أرضاضالحة تنتظر الحب الذى سيبذره فها بعد أبو عبد الله الشيعى •

ونحن نتساءل: هل كانت جهود أبى ســـــفيان والحلوانى هي وجدها الأساس الذى أقام عليه أبو عبدالله الشيعي بناء الدعوة الفاطمية ؟

والإجابة على هذا التساؤل بالنفى ، إذ يفصل بين الداعيين وبين أبى عبدالله سنوات ، نبلغ نحو قون ونصف قون . وقد تكون عوامل الطبيعة والتعربة قد ت في هذه الأرض فأخنت ممالم الأرض التي إجتهد الداعيان في حرشها وتمهيدها .

ولذا نتول، أننا وإن كنا لا ننكر جهود وأفضال الداعيين فى بث تماليم الشيعة بين أهالى المفتورة لم تكن هما الشيعة بين أهالى المفروة لم تكن هى الأساس الوطيد الذى أقام أبو عبدالله عليه ذلك البناء الفاطمى الشاهق.

والحقيقة التاريخية أن ظروف الحياة السياسية والاجَمَّاءية والاقتصادية فى بلاد الفرب ، كانت هى التى تجمل أرض المغرب صالحة لبذر أبى عبدالله الشيمى.

⁽١) التمان : افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

⁽٢) امِن الأثير : السكامل ح A ص ٢١ .

لتد عرف أهالى المقرب تعاليم الشيمة منذ سنوات طويلة ، على أيدى الأحارسة الذين نجعوا في إنشاء دولة على إيدى المغرب الأقصى سنة ١٩٦٩ ، وقد رحب الأهالى من البربر بإنشاء هذه الدولة ، التي حتنت لهم رغبتهم القديمة في الحلاص من الحكم العباسي

ثارت المصينة بين البربر ، والعرب الذين سكنوا بلاد المنوب بعد الفتح الإسلامي . وقد كان البربر ، والعرب العرب جضارة ووقيا ، ونظر البوبر دائما إلى العرب على أنهم « عناصر مغتصبة ودخيلة (١٠) » . وبما زاد نيران المصبية بين الغريتين اشتمالا ، افتقاد البربر للاستمداد الفكرى لتتبل الحضارة العربية الإسلامية نقيجة كراهيتهم للعرب ، ونظرتهم إليهم كمنصر دخيل عليهم ، ورغبتهم في التعور من الحسكم العربي .

وهكذا كانت تلك الروح القوسية عند البربر، تدفعهم إلى حركات انفصالية، وهي تشبه عاما تلك الروح القومية التي سادت بين الموالي الفرس في المشرق، في العراق وخراسان، ودفعتهم إلى النيام مجركات ثورية ضد الدولة الأموية التي انتيعت سياسة عربية واضحة (٢)

وكانت معظم مناطق بلاد البربر — عدا الشريط الساحلي الفيق — تتكون من بقساع رملية وتلال جرداء مجدبة ، لا نفي للبربر محاجاتهم الاقتصادية ، ولا توفر الظروف الملائمة لقيام حضارة متقدمة . كاكانت فداحة الفرائب التي أثقلت كاهل البربر من العوامل التي جعلتهم يتطلعون إلى التحرير من ألحكم العربي .

⁽١) أنظر فصل الموالى في كتابنا (المراق في ظل المسكم الأموى) تجد كتيا من الماق في ظل المسكم الأموى) تجد كتيا من الثقاصيل .

ولكن تمرد البربر على الولاة ، لم يكن خووجا على الدين ؛ وإنما رغبة فى التصرر من السلطة الحاكمة التي فرضت من الفبرائب ما لم بفوضه الدين ^(۱).

وتعالت أصوات البربر دائمًا بالأنين والتألم ، ثم بالشكوى إلى الخلفاء المباسيين ، ولكن صيحاتهم كانت صرخات في وإد تبددها المسافات الطويلة التي تفصل بين بلاد المغرب ، والعاصمة المركزية بغداد في بلاد العواق في شرق الدولة .

وكانت الدولة العباسية قد خلقت دولة الاغالبة او اجهة دولة الأدارسة التي قامت على يد إمام علوى هو إدريس بن عبدالله الذي نجا من موقعة فخ في الحيجاز في عهد الخليفة العباسي الرابع الهادي (^{77) .} وقد خلفه ابنه ادريس الذي « قام بأمر البربر ، فولى أمرهم أحسن ولاية » (⁷⁹⁾. وقد اتسم نفوذ إدريس بن إدريس بن عبدالله ، ووفدت عليه وفود البربر والعرب من أرجاء بلاد المغرب تملن له تأييدها ، وبدأ صراع عنيف بين الأغالبة والأدارسة ، ووضع الأغالبة سياسة ترى إلى إبعاد البربر عن تأييد الأدارسة (²³⁾.

وكانت تعاليم الشيعة قد انبثت في قبيلة كتامة ، وأصبحت هذه النبيلة الكبيرة تصاح لتكون أساسا لجهود أبي عبدالله الشيعي.

⁽١) ُّ حَدَنَ ابرهيم تاريخ الدولة الفاطبية مره،

⁽٢) المسعودي : مروج الذهب ح ٣ س ٣٣٦ ، الأسفهاني مقانل الطالسين من جره ۽ .

⁽٣) ابن الأثير: السكامل حـ ٣ ص ٢٠٠ ؛ الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٢١٩ . (٤) يقول الناصري في كتاب (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى حـ ٨ ص ١٦٣):

⁽۲) يعون المعاصري في مناب (الاستعما لاحبار دول الفرب الاقصى- ١ ص ١٩٣٠): ﴿ تُوانَّتُنِي لَلْ إِنْ الْأَعْلِى الْمِنْجَلِيمِ الْمَرْسِيمِينَ الْإستفحالِ ۽ فَأَرْهَفَ عَرْمَهُ عَلَى الْتَصْرِيبِ بِينَ الجهزن واسينغاليهم عملي ادريس: »

٤ – الرحلة التارمخية

غادر أبو عبد الله الشيمى - كما رأينا .. بلاد الين في موسم الحج ، قاصداً مكة ، وهمه رفيقه عبد الله بن أبي لللاحف . ثم نفير هذا الرفيق ، فحل مكانه آخر ، وهو ابراهيم بن إسحاق الزبيدى ، وهو من أهالي الين . فقد أصاب أبم عبد الله مرض عقلي ، وأصبحت في حاجة إلى رعاية ابنها . ولم يكن اختيار ابن حوشب لهذين الرفيتين موفقا ، فيقول القاضي النمان (١) : « ولم يكن إبراهيم هذا بمحمود الفعل ، وكذلك كان ابن أبي لللاحف »

وخرج أبو عبد الله من « عدن لاعة » مع رفيقه ، وبعث ابن حوشب بعض رجاله لتوديم أبى عبد الله ورفيقه ، كما كتب إلى ولاة المدن والقرى الواقعة على العارق بين البين ومكة ، يوصيهم على داعيته ورفيقه . وجلس ابن جوشب فى مجلس له فوق الجبل ، يرنو بعينيه إلى أبى عبد الله وقد بدأ يرحلته ، ويتول « وإن بين كتفيه لنجاة يرحلته ، ويتول « وإن بين كتفيه لنجاة خلق عظيم ٣٠٠ » .

انتهت مناسك الحج، واستقر الحجاج في (مني)، وأخذ أبو عبد الله يتجول في أنحاء مني، يبعث عن حجاج كنامه، حتى وجد رحالهم، وأنصت إلى حديثهم، فوجد رجاين منهم، ها خريث الجيلي وموسى بن مكارمة، يذكران المحصابها فشائل على بن أنى طالب رضي الله عنه .

وجلس أبو عبد الله إلى هؤلاء الكتاميين ، يحادثهم

⁽١) النمان: انتتاح الدموة س ١١

⁽۲) الصدر البابق •

⁽۱)۲۲ اصدر السابق س ۲۳۰

حدثهم، وكان أبو عبد الله على نسبب كبير من العبترية والزكاء والفطنة ، يخاطب الناس على قدر عقولهم وميولهم، فهو نخاطب الوجدان كما يخاطب المقل، ولذا لا عبجب أن حاز :، ساعات قليلة إعجاب أهل كتامة وتقديرهم ولذا سأثره عن رحاله، فدلهم عليه.

وفى اليوم الثالى، قدم الكتاميون عليه فى رحاله ، « فحدثهم وأوسع فى الحدبث ، وازدادوا فيه رغبة وعليه اقبالا ، فجمل يسائلهم عن بلدهم فيخبرونه »(١).

نجح أبو عبد الله فى الفوز بحب الكتاميين وانتهم ، وتفاءل من نجاحه فى مهمته الكبيرة ، قند « وجد لديهم بذوا من ذلك المذهب(٢٠)

وحانت ساعة الرحيل من مكة ، فسأل حجاج كتامة أبا عبد الله عن وجهته ، فتال أنه راحل إلى مصر ، فأبدوا سرورهم ، إذ أبهم يمرون بمصر خلال رحلتهم إلى وطلبم بالمقرب ، ويمكن لأبى عبد الله أن يرافقهم فطريقهم من مكة إلى مصر ، بما يتيج لهم فرصة الاستبتاع بعذب حديثه وبعلمه الفياض (⁷⁷).

وخلال الرحلة من مكة إلى مصر ، أحاط الكتاميون أبا عبد الله بمظاهر التسكريم والإحترام « وجعلوا بمشون حوله إذا سار ، وينزلون بقربه إذا الراب وينظمونه » . حتى إذا اقتربوا جميعًا من مصر كان « أمره فى بجل يوم أمرا جديدا لم يكونوا سمعوا بمثله ، ويستفترنه فيفتيهم ، فمالت إليه قلوبهم » (4).

⁽١) المصدر السابق .

⁽۲) المفريزي : انعاظ المنفأ ح ٩ _

⁽٣) ابن الأثير : السكامل ح ٨ س ١٠ ومايندها .

⁽١) النصال : افتتاح الدعوة س ٦٣ .

ولم يهدف أبو عبد الله إلى استمالة حجاج كتامة إليه، أو النوز بثقتهم وتقديرهم، فحسب، بل كان يسعى إلى أهداف أبعد مدى، فهو يريد الوقوف على الأحوال العامة على بلاد كتامة، فهى الأرض التى سيبذرها ، كما أنها أرض مصهولة لديه لم تطأها قدماه.

فكان أبو عبد الله ينتهزكل فرصة تسنح له ، فيسألهم عن أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتاعية ، وعن السافات بين الأماكن المختلفة ، فهو يرد صورة واقعية توضح له أحوال السكان ، وجفرافية البيئة . وكان أبو عبد الله _ كمهدنا به دائما _ ذكر يالهما ، فلم يثا أن يثير شكوكهم ، مما قد يتجعلهم يتسافون هم بدورهم عن دوافع تساؤلاته الكثيرة ، فكان هو يخبرهم بأحوال البلدان والعثائر الأخرى (١٠) . فبدا أبو عبد الله المكتاميين أنه بربد بشاؤلاته عقد مقارنات بين أحوال المغرب وأحوال الأمصار الأخرى . وقد حفظ القاضى النمان لنا تساؤلات أي عبد الله ، وإجابات الكتاميين (٢٠) .

ودار الحوار بين أبى الله ، وبين حجاج كتامة على همذا النعو : أبو عبد الله : كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم ؟

حجاج كتامة: ماله علمينا من طاعة ولا حكم أكثر من أنا تقول إنه سلطان. أبو عبد الله : وكم بينكم وبين موضعه ؟

حجاج كتامة : مسيرة عشرة أيام.

أبو عبد الله : فبالقرب منكم أمصار ؟

حجاج كتامة: نعم ، ميلة (٣) ، وسطيف (٤) ، وبازمة (٥) .

⁽١) المصدر البابق ص ٣٦ ٠

۲۱) الصدر السابق س ۲۶ - ۲۲ •

⁽٣) ميلة : مدينة بالجزائر تقم على بعد حوالى ٤٠ ميلاإلى الشمال الغربي من تسطفطينية.

⁽٤) سطيف: في الجزائر أيضًا على يعد ٤٤ ميلا إلى الجنوب الشرقي من يجاية •

⁽ه) بلزمة: جنوب مسطيف، على ماترية من السطنطينية . (أفطر معيم اللبادن لياقوت: وحاشية رسالة انتتاح الدعوة) ،

أبو عبد الله : فلسلطان إفريقية بها عمال ؟

حجاج كتامة: لا، فإنا بها رجال ملكوها ، ماله عندهم أكثر من الدعوة على المنابر.

أبو عبد الله : فلهم عليكم طاعة ؟

حجاج كتامة: لا ، بل هم يدارونءن قرب منهم منا، ونحن الغالبون عليهم،

أبو عبدالله : فإلى من يرجع أمركم ؟

حجاج كتامة : كل رجل منا في نفسه عزيز ،ولنا أكابر منا في كل قبيلة وعندنا قوم نظروا في شيء من العلم، ومعلمون نستفتيهم

في أمر ديننا ونتحاكم إليهم فيما يكون بيننا ، فمن حكموا عليه ألزم نفسه ما ألزموه ، و إن عند (١) عن ذلك قامت

الجاعة عليه ، وما وجب من أموالنا من عشر وصدقة أخر جناه نحرم لأنفسنا فدفعناها إلى الفقراء فينا .

أبو عبد الله : فلا سبيل للسلطان عليكم في ذلك ؟

. حجاج كتامة : لا .

أبو عبدالله : فكم مسافة بلدكم ؟

حجاج كتامة : مسافة خمسة أيام طولا في عرض مسافة ثلاثة أيام .

أبو عبد الله : فأنتم قبيل واحد ؟

حجاج كتامة : يجمعنا اسم كتامة ، ثم نفترق قبائل وأفخاذاً وبيوتات .

أبو عبدالله : فبعضكم ناء من بعض ؟

⁽١) عند: بفتح الحروف الثلاثة.

حجاج كتامة : ما بينناكثير تباعد.

أبو عبد الله : فأمركم متفق ؟

حجاج كتامة : لا ، نحن نحارب بعضنا بعضا ، ثم نصطلح بعد القتل ، ويصالح القوم منا قومًا وبحار بون آخرين دأبنا .

> أبو عبد الله : فإن دهمكم غيركم تجتمعون ؟ حجاج كتامة : ما رام ذلك منا أحد قط.

يجاج كتامة : ما رام ذلك منا احدًف

أبو عبدالله: ولم؟

حجاج كتامة : لكثرة عددنا وامتناع بلدنا .

أبو عبدالله: وكم بكون عددكم؟

حجاج كتامة : ما أحصى ذلك أحد منا ولا من غيرنا ، فيما علمناه .

أبو عبد الله : فعندكم الخيل والسلاح؟

حجاج كتامة : ذلك أكثر كسبنا وبه نفتخر وإياه نعتد ، لحاجمتنا إليه لما بيننا من حروبنا(١٠ .

وصل الركب إلى مصر ، وكان أبو عبد الله قد نجح فى تكوين صورة كاملة واضحة منكملة عن أحوال كتامة وبلادهم . وحانت ساعة الغراق ، وبدأ أبو عبد الله فى توديم أصحابه ، وأبدى الكتاميون ألماً شديداً لفراقه ، ثم سألوه : ما يقيمك ها هنا ، وما نرى ممك من تجارة ، ولاهو بلدك ؟ فأجاب : أطلب التعليم . فقالوا له : ما نرى أنك تجد بلداً أجدى عليك

 ⁽١) أورد المغربتري (اتعاظ المنفاح ١ ص ، ١٩٥٥) بعن هذا الحوار ، ولكننا رأينا الاعماد طي وسالة افتتاح الدعوة الندمان حيث أوردت الحوار كاملا (ص ١٤ – ٦٦).

قى التعليم من بلدنا . وأراد الكتاميون إقناع أبى عبد الله يقبول مرافقته لهم ، فأخذوا يوضعون له مناهل العلم فى بلادهم . وتظاهر أبو عبد الله بالحيرة ، وأنه لا يستطيع اتخاذ قرار حاسم ، فزادوا إلحاحاً حتى رضخ لرجائهم . وأبدى الكتاميون «سروراً شديداً» . ثم اجتمع الكتاميون ، وجموا بعض الدنانير ، وقلموا على أبى عبد الله ، وألحوا عليه فى قبولها « لتتوى بها نفسه» فرفض قبول الدنانير فى إصرار « فعظم فى أعينهم وزادت هيبته فى صدورهم(") » .

وبدأ أبو عبد الله رحلته التاريخية مرة أخرى ، من مصر إلى المغوب .
وهو الآن بين جماعة قد منحته ثقتها ومودتها وتتديرها ، وهم الذين
سيفتحون له أبواب بلادهم ليدخل إليها ثابت الأقدام ؛ قوى البنان ، ليبدأ
مهمته التاريخية الخالدة .

⁽١) النسمان : النتاح الدهوة من ٦٧ .

ه -- في الغرب

بدأ أبو عبد الله والكتاميون رحلتهم من مصر إلى المغرب؛ حتى وصلوا إلى طرابلس ، ومنها إلى قسطيلية (١٠٠٠ حتى وصل الركب إلى (سوجهار) حيث أقام بالأمس البعيد الداعى الأول الحلوائي (١٠٠٠ و خرج حريث وموسى وكانا من حجاج كتامة من الشيعة ، إلى أصدقاء لهما في سوجار ممن يعتنقون للذهب الشيعى ، وهم أبو للفتش ، وأبو القاسم الور فجوى ، وأبو عبد الله الأندلسي ، يخبراهم بأمر أبى عبد الله . وقدم هؤلاء الثلاثة على أبى عبد الله يلحون عليم في النزول في ضيافتهم ، ولم يشأ أبو عبد الله أن يفضب أحداً منهم ، فاجع إلى السهام ، فخرج له سهم أبى عبد الله الأندلسي ، فأصبح رجلنا أبو عبد الله ضيفًا عليه (٢٠) .

وفى ليلة تالية ، قدم هؤلاء الثلاثة مع حريث وموسى على أبى عبد الله . وتبادل الجمع الحديث « عن علم الشيعة وفضل أهل البيت » ، حتى إذا قرب موعد فض المجلس قال أبو المفتش لأبى عبد الله : والله إلى لأظنك صاحب البندر الذى يذكره الحلوانى ، فطلب أبو عبد الله منهم جميعاً « الصعت أو ألتكتبان (25) » .

ثم رحل الجميع إلى أرض كتامة ، يوم الخيس ١٥ ربيع الأول سنة

 ⁽١) قسطيلية بن مدينة وكورة كبيرة من نونس ، وتقع على بعد خمسين ميلا إلى الجنوب.
 القوفي من قدمة .

[·] ٣٢ م خلدون : المبر ح ٤ ص ٣٧ .

⁽٣) النمان : افتتاح الدعوة س ٦٨ ـ ويسميه ابن خلدون (عمد بن حمدون بن سياك الأندلسي) .

٤) افتتاح الدعوة س ٦٩ --- ٧٠٠

• ۲۸۰ ه(۱) . وتنافس كل فرد منهم على الفوز باستضافة أبى عبدالله الشيعى ، حتى كادوا يشتجرون ويتنابذون . ثم سألهم أبو عبد الله : أين يكون فج الأخبار ؟ وأبدى الكتاميون تعجبهم إذ « لم يكونوا ذكروه له (۲) » ، فأجابوه : عند بنى سليمان (۱) . فقال أبو عبدالله : إليه نقصد ، ثم تأتى كل قوم منكم في ديارهم ، وتزورهم في بيوتهم ، ه رضى بذلك الجميع (1) » .

واتجه أبو عبد الله إلى جبل (إيكجان)^(٥)، وفيه فج الأخيار. فقال هناك: « هذا فج الأخيار ، وما سمى إلا بكم، ولقد جاء فى الآثار: المهدى هجرة به الأوطان ، ينصره فيها الأخيار منه أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكتمان، وبخروجكم في هذا الفج سمى فج الأخيار» (٣٠.

وسممت كثير من قبائل البربر عن أبي عبد الله ، فندمت عليه من كل مكان « فعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر، وهو لا يذكر فى ذلك اسم المهدى »(٧). بل كان يكتفي بالحديث عن فضائل على بن أبي طالب وأولاده وأحفاده (٨).

⁽١) ابن الأدير: الكامل - ه من ٣٣ ، النميان: النتاح الدعوة من ٢١ ، أما ابن خلدون (العبر - ٤ من ٣٣ ، المقريزي (انعاظ الحنفا - ١ ٦ ه) فيريان ان أباعبد الله وصل إليم أوضر كتامه سنة ١٨٨ هـ .

⁽۲) القرنزی: انعاظ الحنفاح ۱ ص ۹ ه .

 ⁽٣) إن الأثير : المحالم ح ٨ ص ٣٣ ء العاظ الحنفا ح١ ص ٥٩ ٠ بينما بذكر النعمان «افتتاح الدعوة ص ٧٧) مؤلاء القوم فيسميم (بنى سكتان) .
 (٤) إنعاظ الحنفا ح ١ ص ٥٩ م .

⁽٥) ايكجان : جبل قرب سطيف على مرحلة ونصف من نجابة وتسكنه كتامه .

⁽٦) العاظ الحنفا ح ١ ص ٥٧ ، افتتاح الدعوة ص ٧٣ .

⁽٧) اتماظ الحنفا ح ١ س ٧٥٠

⁽A) المصدر السابق .

وتواترت أخبار أبي عبدالله حتى بلغت إبراهيم بن أحمد بن الأغلب؛ ا أمير إفريقية ، فأرسل إلى عامله على مدينة (ميلة)يسأله عن أمو أبي عبدالله ، وحقيقة أهدافه ، فهون العامل من أمر أ بى عبد الله ،وحقيقة أهدافة، « وذكر ` أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة ، فسكت -- الأمير إ- عنه » (١).

وما لبث أبو عبدالله أن "صرح عن أهدافه الحقيقية ، فقال : «أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلواني » (٢) . ومن الطريف أن حريثا ، الذي رافق أبا عبدالله طوال رحلته ، قال له : « ما كان أطول سفرنا معك ، ونحن في غفلة عن مثل هذا منك ».

ناقش أستاذنا المرحوم الدكتور حسن إبراهيم حسن (٢٠) موقف البربر من المذهب الاسماعيلي ، ومدى تقبلهم له ، ودوافعهم إلى إعتناقه، فقال: اتخذ أبو عبدالله الشيعي « دار هجرة » في فج الأخيار في ايكجان، فأصبحت مركز حركته ومجمع أنصاره من البربر . ويرجع ذلك لسذاجة البربر وعــدم ولذا لم يتعمق البربر في فهم مذهب الإسماعيلية وتعالميه التي تحتاج إلى إعمال الفكر، و إنما اعتنقوه لأول وهلة مدفوعين بعدائهم للأغالبة السنيين، فلم يكن ثمة ما يساعد على رسوخه في نفوسهم ، مما أدى بهذا المذهب إلى الزوال من بلاد المغرب ، حتى لم يبق له الآن بقية أو أثر .

ونحن نرى أن بربر شمال افريقية كانوا مدفوعين في تشيمهم ، مجبهم لآل

⁽١) اقتتاح الدعوة س ٧٣ ه (٧) اتماظ المعنفا ح ١ ص ٧٥ .

⁽٣) الدولة الفاطمية ص ٤٩ .

⁽١) النممان : افتتاح الدموة س ٧٦.

٣ -- دار الهجرة والمجتمع الشيمى

اتسع نطاق دعوة أبي عبدالله الشيمي، وتكاثر عدد أنصاره وشيعته. وإن كان الأمير إبراهم بن أحمد بن الأغلب (١) قد أنصت بالأمس إلى رأى عامله في مدينة (ميله) الذي هون له أمر أبي عبدالله ، إلا أنه اليوم أدرك خطورة الموقف ، حيث تواترت عليه أنباء اتساع دعوة أبي عبدالله . إلا أن الأعار الأغلي لم يقطن إلى حقيقة هذه الدعوة أو جوهرها ، فرأى أن يقوم محملة استكشافية .

بعث الأمير الأغلبي بابن المقتصم المنجم ليأتيه بخبر أبى عبدالله ، وليبلغه برسالة تشفهية منه . وجاء في أول هذه الرسالة تساؤل للأمير الأغلبي ، هو : « ما حلك على سخعلي والتوثب في مملكتي واصاد رعيتي والخروج على الامم ثم قال له أنه على استعداد لاشباع أطاعه في عرض الدنيا ، وله حربة الاقامة أو مفادرة البلاد ، ثم هدده في آخر الرسالة بالمقاب والهلاك إن استمر فيا هو عليه (٢٠).

وطلب أبو عبدالله من رسول الأمير الأغلبي ابلاغه برده، فهو لا بعباً بالتهديد والوعيد، وهو واقف على مواطن الضمف فى دولة الأغالبة، عارف بمظالم بنى الأغلب، وهو لا يطمع فى عرض الدنيا . ثم دعا أبو عبدالله الأمير الأغلبي - فى آخر رسالته الشفهية - إلى طاعة الإمام عبيدالله المهدى، سليل الرسول عليه الصلاة والسلام (٣٠).

⁽١) حَكُم من سنة ٢٦١ إلى سنة ٢٨٩ ه ويسمى الأمير إبراهيم الناني .

⁽٧) أنظر هذه الوسالة في كتاب افتتاح الدعوة النصال ص ٧٩ -

⁽٣) المصدر السابق س ٨٠ - ٨١ .

وارتاع الأمير الأغلبي حينها نقل إليه رسوله حديث أبى عبدالله الشيعى. وزاد من خطورة الموقف تشيع بعض أبناء البيت الأغلبي وبعض خاصتهم، حتى أن الأمير حين ولى إبراهيم بن على بن أبى حجر على (قفصه) وقسطيلية، وأمره أن يسير في أهلها بسيرة (العمرين) (١) قال إبراهيم له أنه لن يسير فيهم إلا بسيرة على بن أبى طالب (٢).

ثم تعرض أبو عبدالله لمؤامرة خطيرة ، وينسبها المقريزى إلى حقد قبائل البربر على بنى سكتان الذين احتضنوا أبا عبدالله ، واشترك فى هذه المؤامرة ، ولاة ميله وسطيف وبلزمة ، وبعض رؤساء القبائل . واضطر أبو عبدالله إلى الاحتفاء ، واستعد بنو سكتان للقتال (٤) .

تولى القيادة العسكرية الحسن بن هارون الفشى، وهو من رجالات كتامة . وعرض على أبى عبد الله أن يصاحبه إلى مدينة تاصروت (٥) . وهناك « أتنه القبائل من كل مكان ، وعظم سأنه ، وصارت الرئاسة للحسن بن هارون ، وسلم إليه أبو عبدالله أعنة الخيل ، وظهر له من الإستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له ، وغنم الأموال ، وخندق على مدينة تاصروت ، وقد زحفت إليه قبائل الغرب ، فاقتناوا عدة مرار ، كان له فيها الظفر ، وصار إليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة » (٥) .

⁽١) يقصد عمر بن المطاب وعمر بن عبد العزيز

⁽٧) افتتاح الدعوة ص ٨٧ .

 ⁽٣) اتماظ العنفاج ١ ص ٥٥ .
 (٤) افتتاح الدعوة س ٥٥ --- ٩٩ .

⁽٠) هكذا كتبها للقريزى ، بينما كتبها النعمان (بتازروت) .

 ⁽١) المقريزي : انعاظ العنقاح ١ ص ٥٥ ء أنظر أيضًا تفاسيل هذه العروب في رسالة افتتاح الدعوة ص ٩٩ -- ١٩٧٧ .

أخفقت المؤامرة تماماً ، وحاز أبو عبد الله الشيعي نصرا حاسمــا ، وفاز بكثير من الغنائم .^(١) وفي تاصروت (أو بتازروت) بني أبو عبد الله قصرا لسكنه، وأقطع أنصاره دوراً حول القصر، وقدم آلاف من الشيعة يشيدون لهم بيوتا ، حتى تكامل شكل « دار الهجرة » (۲) .

تَدعم نفوذ أبي عبد الله ، ونجح في تكوين « مجتمع شيعي » في « دار الهجرة » . وقد ميز القاضي النعان (٣) بين فئات هذا المجتمع ، فقال : « منهم منأراد بذلك وجه الله عز وجل وطلب ثوابه،وأخلص فيه له وآثر به ماعنده ومنهم من أراد بذلك الدين والدنيا ودرك حظه من الآخرة والأولى ومنهم من دخل ذلك يبتغي به الفخر والشرف والذكر والرياسة ومنهم من أراد به الكرب والفائدة ، ومنهم من دخله الحسد والمنافسة ، ومنهم من صار إليه خوفا وتقية ومداراة » .

نظم أبو عبد الله شئون هذا المجتمع الشيعي ، فساده الأمن والأمان ، ويصف القاضي النعان (٤) أحوال هذا المجتمع الآمن ، فيقول : « فلم ير الناس ولا انتهى إليهم أن قوما كانوا من صلاحالحال والإستقامة على مثل ماكان عليه أصحاب أبي عبد الله » . فكان التجار يرحلون بقو افلهم في أمن وسلام و إذا سقط من أحدهم شيء ، بقى في مكانه حتى يعود صاحبه ليأخذه .

⁽١) كانت الفتائم من الكثرةحني باعوا المشرين.بميرا بدينار ، وبيم الجمل بخمس بصلات (افتتاح الدعوة س١١٦)

⁽٢) افتتاح الدعوة س ١١٧ . (٢) المصدر السابق س ١٢٢ -- ١٢٢ .

⁽٤) المدر البابق ص ١٢٥ -

وأراد أبو عبد الله ان يكون أنساء المجتمع الشيعى فى دار الهجرة يداً واحدة ، وعمل على تهذيب أخلاقهم ، حتى يكون مجتمع الحير والـبر ، وحقق المجميع المساواة والمدل والإخاء، حتى كان الواحد ينادى الآخر « يا أخانا »، وحثهم على أداء شمائر الإسلام ، وعاقب المذنب اعقابا صارما . وأطلق على أصحابه إسم « للؤمنين » ، بينا سمى أعداءهم « الـكافرين » . وحلت الرابطة أصحابه المبدية الجديدة في المجتمع الشيعى محل الرابطة القبلية القديمة .

وأصبح أبو عبد الله قدوة طيبة لأبناء هذا المجتمع الجديد، وكان مثلا أعلى فالصلاح والتقوى والزهد والتقشف، واستمر على ارتدائه الخشن والرقع من الثياب، وجعل القرآن الكريم دستوراً له فى جميع تنظياته السياسية والإجتماعية والاقتصادية، وكان مثالا للتواضع والتسامح، فكان أبناء المجتمع ينادونه و يا أخانا » كا ينادون سائر الناس. وظل فترة طويلة بدون زواج. حتى إذا تزوج أخيراً اكتنى بهذه الزوجة دون الزواج بغيرها.

وصف القاضى النمان (۱^۱ أحوال هذا المجتمع الشيمى ، فقال : « وتحامى الناس المصائب وتركوا الاختلاف فى المذاهب، وصاروا على أمر واحد يقسمون إخوانا ».

واهتم أبو عبد الله بتنظيم مجتمعه الجديد فى دار الهجرة . فقسم كتامة أسباعا ، وجعل لكل سبع منها عسكراً ، وقدم عليه مقدما ، وخصص لكل موضع داعيا، وسمى المقدمين والدعاة (المشايخ) رغم أنهم لم يكونوا من المتقدمين فى السن ، وتولى هؤلاء المشايخ نديير أمور أبناء المجتمع ، وتوزيع ما يحوزوه من غنائم عليهم يالمدل والقسطاس (٢).

 ⁽١) افتتاح الدعوة من ١٢٥ — ١٢٦

⁽٢) الصدر المابق س ١٣٦

واهتم أبو عبد الله بالدعاة ، فكان يهتم بإعدادهم ويمتحن الخلاصهم ، ويعاهدهم على الموت ، وتولى تعليمهم وتدريبهم بنفسه ، فكان يطيل العالوس إليهم ، يوصيهم ويذكرهم، وينضعهم ، ويحتهم على التعاون والتواصل وحسن معاملة الناس ، وأصبح أبو عبد الله قدوة لهم ، إذ اشتهر بالزهد ف عرض الدنيا ومباهج الحياة (١).

كما اهم أبوعبد الله بنساء مجتمع (دار الهجرة)، فكانت النسوة محضرن مجالس أبى عبد الله ، و بسمعن الوعظ والإرشاد ، كماكن يخدمن « المؤمنين » ويعالجن المرضى والجرحي (٣) .

⁽١) للصنو العابق من ١٩٦٨ - ١٩٣١ - ضرب النعمان (من ١٩٣٧) مثلاً لهؤلاء الدعاة بداع بسمى (كور بن قدر) الذي انفق كل أمواله في مواساة الحوانه واطعامهم .
(٧) النتاب الديرة من ١٩٣٨ من ب النبيان مثلاً لهؤلاء النبروقيعدث عن أبدأة تحسد

⁽٣) انتتاح الدعوة م ٣٣ هـ ضرب النمان شالا لهؤلاء النموه فتحدث عن أمرأة يحيى إن يوسف التي أنقق جيم أموالها في الجهاد، وكانت تستم الطعام بيدها المجاهدين حتى أن يدهيا كانت تدميان من الطعن والعلمي .

٧- الجهاد

كانت « دار الهجرة » هى النواة الأولى للدولة التى جاهد أ بو عبد الله فى سبيل إنشائها . وقد أراد أن تكونهذه الدار هى « المدينة الفاضلة » التى طمع فى ظهورها الفلاسفة القدماء . ولذا اهتم أ بو عبد الله بالتنظيم الإجماعى ، وبالمهذيب الأخلاقى ، وجعل الدين أساسا للتنظيم والتهذيب . والدين دائما هو منبع التيم الإنسانية والمثل العليا الأخلاقية ، ولا يمكن أن تقوم دولة كبرى إلا على أساس وطيد ، وقد أراد أ بو عبد الله بمجتمعه الشيعى الجديد أن يكون ذلك الأساس الذى يقيم الفاطعيون عليه دولهم التي أماوا فى قيامها عبرالعصور

أصبح المجتمع الشيمى هو مجتمع الحربة والإخاء والمساواة ، ومجتمع الوفاء والصفاء والنقاء . أمن مستتب، واستقرار إجماعى،وعدل إقتصادى ، فى إطار من الندين والتصوف ، أضنى على هذا للجتمع غلالة روحية سمت به ورفعت ذكره . وأصبح أبو عبد الله الزعيم الراشد ، والأخ الأكبر .

وهذا المجتمع المثالى جمل البربر يقار نون بينه وبين النظم الرجمية القديمة الباليةالتي سادت ومازالت سائدة فى دولة الأغالبة وصار البربر يتمنون زوال الحكم الأغلبي، ويرجون إتساع دائرة هذا المجتمع الشيعى حتى يشمل كل أرجاء أفريقية .

ولم يكن هذا للجتمع الجديد يهدد دولة الأغالبة فحسب. بل كان يهمدد أيضًا النظام التبلى التدم السائد في إفريقية منذ قرون طويلة. إن الرابطة فى القبيلة هي رابطة الدم، ولذا فإن قومية البربر هي قومية قبلية. أما المجتمع الشيمي الجديد فهو يعتبر « دار الهجرة » هي الوطن، ولذا فالرابطة بين أبناء

المجتمع هى رابطة وطنية ، إذ تربئهم وحدة إجماعية ووطنية ، تؤدى إلى وحدة المصير ، وإلى وحدة الأمال والآلام . فقد كانت «دار الهجرة » هى البوتقة التي انصهرت فيها كل العناصر التي اسكنتها ، فزال ما كان يينها من خلافات . كما أصبح التشيع أيضًا رابطة فكرية "ممثل وحدة الرأى وللبدأ والإتجاه .

ولدًا كان لابد أن تصطدم دار الهجرة ، ويصطدم للجنمع الشيعى ، بدولة الأغالبة ، وبالقبائل التى تريد الاحتفاظ بنظمها القبلية القديمة . ولابد من صدام الجديد الناهض المتطور ، بالقديم الرجعى المتأخر ، فهى سنة الحيياة ، فى كل زمان ومكان .

وهذا ما حدث فعلا ، وقد شهدنا فى الفصل السابق بداية الصراع بين أفى عبد الله الشيدنا أيضاً المؤامرة عبد الله الشيدنا أيضاً المؤامرة المطابرة التي المستحد خيوطها قبائل البرس .

وفى هذا النصل رى إستموار الصراع بين دولة الأغالبة وأبى عبـد الله الشيعي. ولكن البقاء دائمًا للأصلح.

 ⁽١) كان أبو المباس على مذهب أبي حنينة ، ويتمول بيخاق الفرآن ، وقد مات بعد أبيه بتسمة هبهور (افتتاح الدعوة ص ١٤٥) .

﴿ زيادة الله ﴾ الذى انصرف إلى حيــاة اللهو واللعب ، ﴿ فَاشْتَدْ سَرُورَ أَبِى عبدالله ﴾ . وأصبح معظم وزراء زيادة الله شيعة ﴿ فَلْمَ يَكُن يَسُوءُهُمْ طَفْرَ أَبِى عبدالله ﴾ . (١)

بدأ جهاد أبى عبد الله ، من أجل انساع الدعوة ، وامتداد (دار الهجرة» إلى أرجاء إفريقية ، وأصبح من الحجم أن يغزو المجتمع الجديد الناهض المتحد أراضى المجتمع المجديد الناهض والأنحلال ، بحكم الزمن ونتيجة فساد وتحلل النظم السياسية والإجماعية ومارس أبو عبد الله نشاطا عسكريا واسع المدى، وخاض معارك حربية كثيرة ، الامجال في هذا البحث في ذكر تفاصيلها الهسكرية ، وقد فصل التاضى النمان الحديث عنها في رسالته (افتتاح الدعوة) . وقد بدأ أبو عبد الله جهاده بفتح مدينة (ميلة) ، وكان كثير من أهلها من عرب ربيعة ، وقد أعلنوا ولا مهم لا أبى عبد الله . ()

وانتقل أبو عبد الله من نصر إلى نصر ، وفتح كثيراً من المدن ، وظل أو عبد الله فلاما الإسماعيلي أبو عبد الله طوال هذه السنوات الماضية،على إخلاصه وولائه للامام الإسماعيلي عجد الحبيب ، يرسل إليه ، بين حين وحين ، رسله وهدياه (٢٦٠ وخلال هذه الانتصارات الرائمة ، مات الإمام محمد الحبيب ، وخلفه ابنـه الإمام عبيد الله المهدى .

واستمر جهاد أبي عبد الله ، وتوالت إنتصاراته ، ورأى أنه قــد أصبح

 ⁽١) المقريزى : انعاظ العنا حـ ٤ س ٩ ه - رحل زيادة الله من مدينة تونس إلى رقاده
 (انتتاح الدعوة س ١٤٨) .

⁽٢) افتتاج الدعوة س ١٣٤ .

⁽٣) ابن الاثير : الكامل حدمس ١٠ - ١١ .

من القوة وسمة النفوذ مما يسمحه بدعوة الإمام الجديدا عبيد الله لملهدى الله المهدى الله المهدى الله بلاد المغرب . فبعث رجالا من كتابنة إلى الإمام « يخبرونه بما قتح الله عليه ، وأمهم ينتظرونه ، فزافوه بسلية من أرض حمس» . (١)

وخلال رحلة الإمام عبيد الله ما سيد إلى سجلماسة ، وما حفات بعمن مخاطرات ومقامرات ، واصل أبو عبد الله الشيعي جهاده و نشاطه العسكرى ، ونظاصة في مواجهة الاغالبة . فقد نجحاً بو عبد الله في فتح مدينتي ميلة وسطيف. وأدرك الاثمير الاغلبي زيادة الله خطورة الموقف ، فأعد جيشا حشد له أوبعين ألف مقاتل ، فكان أكبر جيش شهدته دوله الأغلبة وبذل زيادة الله أموالا كثيرة القبائل . ونزل الجيش مدينة قسطنطينة وأصبح على بعد مرحلتين من إيكجان حيث يعيش أبو عبد الله الشيعي . وازداد عدد الجيش الأغلبي حتى بلغ لمائة ألف مقاتل . ولكن أبا عبد الله نجح في إلحاق الهزيمة بهذا الجيش الكثيف ").

ثم فتح أبو عبد الله مدينتي طبينه وبلزمة ، وانتصر على جيش ,أغلبي فى موقعة (دار ماول) ، ثم فتح مدينة تبجس ، وانتشر الدعو في سائر المدن ، وحاول الأمير الأغلبي تهدئة نفوس رعاياه ، فبمث برسائل إلى جميع المدن، يعلم ن أهالها ، وأمو بتراءة هذه الرسائل من فوق المنابر (٣).

واستمر أبو عبد الله فى زحفه ، يحوز النصر على قوات الأمير الأغلبى ، الذى بدأ كثير من جنده فى الانفضاض من حوله .وأراد أبو عبد الله توجيه

⁽۱) المقريزي : اتعاظ الحنفا حـ ۱ ص ۳۰

⁽٢) النعمان : المتناح الدعوة من ١٥٦ --- ١٦٠ .

⁽٣) الصدر المابق س ١٧٠ ٠

ضربة قاضية إلى (رقاده) حيث بعيش الأمير. الأغلبي ونزل أبو عبدالله فى (القصرين) بينما نزل الأمير فى (دار هدين). واشتبك الفريقـــان فى معركة حامية الوطيس، دارت فيهــا الدائرة على الأمير الأغلبي الذى انسحب إلى (الأربس)(١).

ومفى أبو عبد الله فى انتصاراته ، ففتح مدينتى قسطيلية وقفصة ، ثم اتجه إلى (الأربس) لتتال الأمير الأغلى، الذى أسرع بالغوار إلى رقادة ، حيث جع أمواله وذخائره ونفائسه ثم غادرها ناجيا بنفسه . وانتشرت الفوضى فى رقادة ، وانتشر بها اللصوص ينتهبون الدور والقصور . وما لبث أن دخل أبو عبد الله رقادة (رجب ٢٩٦ ه) بعد فرار الأمير ، وقدم أهاليها وشيوخها على أبى عبد الله فهنأوه بالفتح، وتبرأوا من الأغالبة (٢٠).

استقر أبو عبد الله فى رقادة ، وبعث منــــادين إلى التيروان ليطوفوا بشوارعها ينادونبالاً مان لاً هلها.فعاد إليها من هرب منها، واستقرتأحوالها وساد فيها الاً من والهدوء. وأعلن رجال دولة الاً غالية ولاءهم لاً في عبد الله.

توطد نفوذ أبى عبىد الله الشيمى فى رقادة والقيروان . وبدأ فى تنظيم حكومته ، فأمر خطباء المساجد بالصلاة على محمد، وعلى آله ، وعلى أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب ، وعلى الحسن والحسين ، وعلى فاطمة الزهراء ، رضى الله عنهم جميعا . وأن يكون الأذان مجى على خير العمل . (٢٠) ولكن هؤلاء الخطباء لم يذكروا إسم الإمام المهدى فى الخطبة ، إذ لم يحن الأوان بعد.

⁽١) المصدر السابق س ١٩١ — ١٩٤

⁽٢) المصدر السابق في ٣٤٢ ص ٢١٧ - ٢١٥ (٣) ابن الأثير: الكامل ح A س ٤٤.

كا ضرب أبو عبد الله سكة جديدة ، ولم ينتش إسم الإمام المهدى على الهوجهين ، بل جعل عليهما العبارتين الآقيتين : «بلفت حجة الله» ، « تغرف أعداء الله ». ثم ضرب سكة أخرى ، نقس عليها « عدة في سبيل الله » ووسم الخيل يعبارة « الملك لله » . وكان نقش خاتمه هو « فتوكل على الله » أينك على الحق المبين « أن كما نقش الخاتم الذي يمهر به الأوراق الرسمية : « وتمت كلة ربك صدقا وعد لا ، لا مبدل لكما أنه ، وهو السميم العليم » (" وتمت كلة ربك صدقا وعد لا ، لا مبدل لكما أنه ، وهو السميم العليم » (" وتمت كلة ربك صدقا وعد لا ، لا مبدل لكما أنه ، وهو السميم العليم » (" وتمت كلة ربك صدقا وعد لا ، لا مبدل لكما أنه ، وهو السميم العليم » (" قرقت كلة ربك صدقا وعد لا ، لا مبدل لكما أنه ، وهو السميم العليم » (" ") المنافقة المنافقة

أما الأمير زيادة الله الأغلبي، فقد هرب إلى طرابلس، ومنها رحل إلى مصر. وكان واليها حينئذ هو عسى النوشرى، وقد خشى أن يتولى زيادة الله حكم مصر بدله، إذ ممع عن أطاعه في حكمها، فرفض الساح له بالإقامة في مصر حتى يأتى له الإذن من العاصمة العباسية بغداد. وبعد ثمانية أيام، غادر زيادة الله مصر قاصداً بغداد، ولكنه مات في بيت للقدس، وقبل أنه مات مسموما، وكان قد أنفق كل أمواله على شرب الخرد؟.

⁽١) سورة النمل آية ٧٩ .

⁽٢) سورة الأنمام آية ١١٥٠

⁽m) النعمان : افتتاج الدعوة ص ٢٢٧ - ٢٢٢ .

٨ - مؤسس الدولة الفاطمية

بمث أبو عبد الله الشيعى إلى الإمام عبيد الله النهدى ، يدعوه إلى القدوم إلى القدوم إلى بلاد المفرب (١٦ . ويصف القاضى النجان (٢٠ خروج الإمام قاصداً المفرب بأنه « هجرة دار قراره بالمشرق » . فقد قال له أبوه الإمام محمد الخبيب : « إنك ستهاجر هجرة بعيدة وتلقى محنة شديدة » .

وغادر الإمام عبيد الله للهدى (سلمية) يالشام ، ومعة ابنه وولى عهده (القائم (القائم () ، وكان غلاما حدثًا ، وصعبًا يضًا بعض خاصته ومواليه ، ومنهم جعقو الحاجب الذى صعبه فى رحلته () . وأخير المهدى مرافقيه أنه يقصد بلاد المن () .

ويرى القاضى النعان (٢٠ أن المهدى كان يريد الرحيل من مصو إلى النمين ولكن أحد دعاته (٢٧ كان قد سبقه إلى الهين ، ثم خرج على طاعته ، بل حاول إغراء ابن حوشب وتحريض على العصيان ، ولكنه تمسك بوفائه للإمام ، فلم عجد ذلك الداعى من يستجيب له سوى على بن الفضل .

⁽١) المقريزي : اتماظالحنفا حاس ٢٠ ، عريب نسمه: صلة تاريخ الطبري س٧٥ و ما بعدها.

 ⁽۲) افتتاح الدعوة س ۱٤٩ .
 (۲) وهو أبوالقاسم تزار (انساط الحنفا ح ۱ س ۳۰) .

 ⁽٤) وضع محمد بن محمد البياني رسالة باسم (سيرة الحاجب جعفر) ، نشرها الأستاذ بابقانيف في بجلة كلية الأداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٦ (اللسم الثاني) .

⁽٥) اليماني: سيرة جعفر س ١١٠ (مجلة كلية الآداب)

⁽١) التتاح الدعوة ص ١٤٩ -

⁽٧) وهو فيروز (سيرة الحاجب جافر س ١١٠) .

ويرى صلحبى كتاب (عبيد الله المهدى) (١٠) أن اتجاه المهدى إلى يلاد المغرب كان بوحى من أبى عبد الله الشيعى ، ويستدلان على ذلك يأنه كانت في رفقة المهدى جماعة من الكتاميين الذين بشيم أبو عبد الله لصاحبت إلى المغيب ويفسر صاحبى الكتاب حرص أبى عبد الله على قدوم المهدى إليه بأنه كان فى حاجة إلى وجود الإمام فى المغرب ، حيث كان قد فرغ من صراعه مع المغاربة، وبدأ صراعه مع الأغالبة ، أى أنه بدأ حربه مسع دولة منطفة لها حيشها الثاب الدام ، ولذاقد أصبح فى حاجة إلى مؤازرة معنوية

وكان دء ة الاسماعيلية فى بلاد الهمين إذ ذاك يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر فى بلادهم ، كما حرص يرؤساؤهم على أن يكون قيامها على أيديهم . وكذلك كانت الحال بالنسبة لدعاة الإسماعيلية فى المغرب ، فىكانوا يرجون قدوم المهدى إليهم لإقامة دولته . ولكن المهدى لم يكن راغبًا فى إقامة هذه المدولة باليمين ، بل أزمع الرحيل إلى بلاد المغرب منذ خرج من سلمية تلبية لدعوة أبى عبد الله الشيمى ، وتحقيقًا لنبوءة أبيه بقيام دولتهم فى المغرب (٢)

وعلم الخليفة العباسي بخروج الإمام عبيد الله المهدى من سلمية ، فبعث إلى والى مصر ، عيسى النوشرى (٢٠٠ ، يأمره بالقبض عليه . ويذكر القريزى (٤٠ أن المهدى أفلت من يد هذا الوالى بوسيلتين ، الأولى حديث رقيق خاطب

⁽١) حسن إبراهيم ومله شرف : عبيد الله المهدى ص ١١٧ *

⁽٢) جال سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب س ٢١ -- ٢٢ .

⁽٣) ذَكَرُ المَافِرِيْنِ (إناطال الحنفا ح ١ ص ٢٠) أن والى مصركان عيسى النوشوى ، يينما للكراك مو عمدين الدولة القاطمية ص ٣٥) أن هذا المراكل هو عمدين سليمان مصدمة على كتاب الولاة والفضاة .

 ⁽٤) اتماط الحنفا ح ١ ص ٢٠. أنظر أيضًا كتاب الكامل لاين الآثير ح ٨ ص ٩٣

وجدانه وحذره فيه من غضب الله عليه ، والثانية رشـــــوته بقدر كبير من المـال.

وخرج المهدى مع مرافقيه ، فى زى التجار ، وتعرضوا لقطاع الطرق الذين انتهبوا أموالهم^(١) . ونجح المهدى فى الإفازات من أيدى ولاة طرابلس وقسنطينة ، ثم وصل إلى سجاماسة حيث قبض عليه واليها البسع بن مدرار إذ كشف زيادة الله الأغلبي عن سره للوالى^(١)

ويبدى المرحوم الدكتور حسن ابراهيم (مسم عجبه من وصول عبيد الله المهدى إلى سبعاء المرب الأقصى إذ كان يجب عليه أن يسير إلى إفريقية حيث ذاعت الدعوة الفاطية وكثر أشياعها وربما سلك المهدى طربق الصحراء الذي تخترق القوافل التي تسير بين واحات مصر وواحات المرب الأقصى ليأمن الوقوع في أيدى الأغالبة .

وخلال تواجد الإمام المهدى في سجنه بسجاسات، واصل أبو عبد الله التصاراته العسكرية ، كا مر بنا . وكان أبو العباس أخي عبد الله في رفقـــة الإمام المهدى ثم افترق عنه في طرابلس، بأمر من المهدى، ضمن من افترق عنه من مرافقيه ، حتى لا تثور شبهات الناس حيا يرون هذا الحشد الكبدير وقد أبو العباس إلى القيروان .

خرج أبو عبد الله الشيعي للافراج عن الإمام المهدى في رمضان سفة ٢٩٦ ه، واستخلف أخاه وأحــــد رجاله ، ويدعى (أبو زاكي) ، على

 ⁽١) يذكر النمان (س ١٥١) أن اللصوس انتهبوا أيضا كتبا كانت فيها علم من علوم الأتمة وحزن الإسام المهدى على ضياعها .

⁽٢) المقريزى: اتماظ العتما حـ ١ ص ٦٣ : كان ابن مدرار سنيا يسكره الشيعة •

٣) الدولةالفاطبية س٤٥ .

أفريقية ، خلال غيابه عتها لقضاء مهمته الخطيرة ، والتي ستستغرق أربعين يوما. وقاد أبو عبد الله جيشًا كثيفًا ﴿ فاهتز المغرب لحروجه ، وخافته زنانة ، وزالت القبائل عن طريقه (١٦ » وكانت قد مضت ثلاثة شهور والمهسدى في سحنه .

وكان أبو عبدالله الشيعي يستطيع الاستيلاء على سبعداسه والقضاء على حكم ابن مدرار في بسر وسهولة ، ولكنه رأى انتهاج سياسة الملاينة والحكمة « خوفا على عبيدالله » (٣) ، فقد يقدم الوالى على قتل الإمام في سعبنه .

وصل أبو عبدالله إلى أطراف سجلاسه ، ومن هناك بعث رسله إلى ابن مدرار « يذكر أنه إنما قدم لحاجة ولم يقدم لحرب ، ووعده الجيل من نفسه والار والالتزام ، وأكد ذلك وبالغ فيه »(٢) . ولكن ابن مدرار قتل هؤلاء الرسل ، وأصر على العداء . فاضطر أبو عبدالله الشيعي إلى اقتحام المدينة ، وهرب ابن مدرار وأهله ، وتم اطلاق سراح الإمام المهدى وابنه القائم في يوم الأحد لسبع خاون من ذى الحجة سنة ٣٩٨ ه (٤).

وصف كل من القاضى النجان وابن الأثير والمقريزى يوم اطلاق سراح الإمام المهدى وصفا ممبرا، ورسموا صورة للاحتفال تدل دلالة واضحة على اخلاص ووفاء أبى عبدالله الشبعى للامام. فقال القريزى (*): « وقد انتشر

⁽١) المقريزي : الماظ العنقا ح ١ ص ١٥

⁽٢) المدر البابق -

 ⁽٣) النصان : افتتاح الدعوة من ٨٣٨ . تم القبض على ابن مدرار وأمر أبو عبد الله يضربه بالسياط والطواف به بسجلاسة ، وصادر أمواله ، ثم فتله بعد ذلك .

⁽¹⁾ اين الأثير: المكامل م A ص ١٧ .

⁽٥) اتماظ الحنة حد ص ٦٥ .

فى الناس سرور عظيم كادت تذهب منه عقولهم ». ويصف النبيان (١) هذا الاحتفال، فيقول أن سجلماسة شهدت موكبا عظيماً ، تقدمه الإمام، وولى عهده القائم، ومشى أبو عبيدالله بين يدى الإمام ، وهو يقول للناس « هذا مولاى ومولاكم أيها المؤمنون (٢) ٥. وحمدالله عز وجل وشكره وبكي . هن شدة الفرح . وقدمت القبائل غلى المهدى تعلن له و لاءها ، ولذا ظلت اقامته . في سجماسة أربعين يوما . وكتب أبو عبدالله إلى أهالي إفريقية كتابا بخبرهم فيه بأنباء اطلاق سراح الإنمام .

وتغيرت الصـــورة السياسية في بلاد المغرب، فقد كان من أبرز قدوم الإمام المهدى إليها ، أن « زال ملك بني: الأغلب من ' إفريقية ، وملك بني مدوار من سجاماسة، وملك بني رستم من تاهرت » (٣٠٠.

وينفى أستاذنا المرحوم الدكتور حسن إبراهيم ما ثارت من إشاعات حول اطلاق سراح الإمام ، فقد ذهب البمض إلى أن أبا عبدالله الشيعي قـ د علم بقتل الإمام ، فجاء برجل يهودى أظهره للناس باسم المهدى. ثم يقول : وليت شعرى أين كان أبو القاسم (القائم) الذي ولى الحلافة بعد أبيه؟ ولماذا لم يتوبلاها في ذلك الحين ، وقد كأن في سن يستطيع ممها الاضطلاع بأعباء الحمكم لا فقد رحف نحو مصر لفتحها سنة ٣٠١ ه أي بعد أربع سنوات. ونحن نرى أن هـذه الإشاعات هي حلقة في سلسلة الشكوك التي أحاطت بنسب الخلفاء الفاطميين. فهناك من المؤرخين االسنيين من يرى انتساب

^{. (}١) افتتاح المجوة مين ٢٣٩ . (٢) كان أبو عبدياقة الشمى يطلق هلى من اعتنقوا التشيع وأهلنوا ولاءهم للاملم المهدى

وانضم إلى المجتمعالشيعي إسم للؤمنين.

⁽٣) اتماظ الحنفا = ١ ص ٣٦ .

⁽٤) الدولة الفاطمية ص ٥٥.

عبيد الله المهدى إلى الداعية عيمون القداح وهناك من المؤرخين الأكثر اعتدالا ، فينسبون عبيد الله إلى اجاعيل بن جفر. وقد ثار جدال وحوار ، على مر المصور التاريخية ، حول نسب القاطميين ، شارك فيه مؤرخون شيعيون وسنيون ، وأدلى المستشرقون أيضا بدلوم في هذا الموضوع ، مثل دى ساسى ودوزى ودى غوية ووستنفلد و تيكلسون وغيرهم . ولا مجال هنا لذكر الآراء المختلفة المتضاربة في هذا الموضوع القديم الشائك ولا مجال هنا لذكر الآراء المختلفة المتضاربة في هذا الموضوع القديم الشائك والذي يهمنا فعن أن الدولة الفاظمية قد أصبحت حقيقية واضعة ، وأن أبا عبدالله الشيمي هو مؤسس هذه الدولة الفاطمية ، بعد جهود كثيرة وكفاح طوبل ، وأبو عبدالله هو داعية الإمام عبيد الله ، وهو يشارك ملايين الشيمة عن نئذ إعامهم بصحة نسب المهدى إلى الإمام إساعيل بن جفر الصادق . وقد كان استنار الأئمة من عوامل إثارة مثل هذه الشكوك التي أثارها أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة في ذلك الوقت ، ورددها بعض المؤرخين الحدثين . وقد وضع أعداء الشيعة من أجل قيام دولته الفاطمية .

ومهماكان الرأى ، فقسد بدأ عهد جديد ، وقامت الدولة الفاطمية في إفريقية ، وبدأ ذكر إسم الإمام المهدى في خطبة الجمعة كأمير للمؤمنين.. وولى الإمام الكتاميين أعمال إفريقية «ودون الدواوين» وجبا الأموال ، واستقرت "قدمه ، ودانت له أهل البلاد ، واستمرل الهال عليها » ⁷⁷.

⁽۱) يقول الدكتور حسن إبراهيم(الدولة الفاطعية س ٥٧) أن يمث الحمدين من للؤرخين لهذا الموضوع لم يستمر عن تتبجة حاسمة . ويقول الدكتور جال الشيال (مقدمة كتاب اتعاظ الحنفا ح ١ س ٢٩) : مشكراته النسب مشكلة قديمة حدايثة شغلت كل من تعرضوا لتاريخ الفاطميين من عرب ومستعربين .

⁽١) انتتاح الدهوة س ٢٣٧ .

٩ - مصرع أبي عبدالله

ثم كانت بداية النهاية ، وبدت بوادر خاتمة صحيفة حياة ذلك المجاهـد الكبير ، الذى كرس حياته وجهوده وعبةريته لخدمة الدعــوة الإسماعيلية و تأسيس الدولة الفاطمية ، التي كانت في مقدمة الدول الإسلامية ·

وشاءت الأقدار أن تكون نهاية حياة أبي عبدالله الشيعي ، على يد الإمام عبيدالله المهدى ، لقد منح أبو عبدالله الحياة للدولة الناطمية ، ولكنه فقد حياته على يد أول خلفائها . فحجا لمفارقات القدر !!!

ويجمع المؤرخون الأقدمون على أن أبا العباس ، أخا أبى عبدالله الشيعى، كان العامل الرئيسي في توتر العلاقات بين الإمام المهدى ورجله الأول أبي عبدالله ، وتطورت الأحداث سريعاً ، فانقلبت المودة إلى عداء وتحولت الثقة إلى ريبة ، وانتهى الأمر بقرار للإمام بوضع حد لحياة أبى عبدالله الشيعى .

كان أبو العباس هو الأح الأكبر لأبى عبدالله الشيعى . وقد قارن القاضى النعان (١٦ يين الأخوين ، فقال أن أبا العباس «كان أفلذ وأحد ذهنا وأكثر تفننا فى العلوم وأسبق منه سابقة ، وأبو عبدالله أرجع وزنا وأورع من أبى العباس . وكان أبو عبدالله بعظمه ، وإذا دخل عليه أى أبو العباس _ قام إليه على قدميه وظل فأنما حتى يأذن له فى الجلوس ، وإذا دخل هـ و _ أى أبو عبدالله _ عليه قبل يده ، ووقف حتى يأمره فيجلس » .

⁽١) افتتاح الدعوة س ٢٣٢ .

وهكذا كان أبو عبد الله يبالغ في تعظيم أخيه أبى العباس وفي اجلاله ،
نتيجة تقدمه عليه في السن . وهذا الاحترام الفائق هو الذي جعل أبا عبد الله
بعد ذلك لا يضع حدا حين تخطى أخوه أبو العباس حدوده المرسومة ، وحين
تمادى في اتجاهات لا تتغق مع صالح الدعوة والدولة . وخاصة أن الأوضاع
السياسية قد اختلفت وتغيرت فقد مضت سنوات طويلة كان فيها أبو عبد الله
الشيعي هو الرجل الأول في المغرب ، فكان أبو العباس يستطيع أن يستمد
سلطانه الواسعة من نفوذ أخيه ، واحترام الشمب الشيعي له ، معتمدا على ثقة
أخيه فيه واحترامه له . أما الآن ، فقد قامت دولة فاطمية ، وحكومة مسئولة
تولى أمورها خليفة هو إمام المؤمنين وأميرهم ، وهو حريص على أن يمارس
سلطانه المشروعة فكان لا بد من الصدام بين أصحاب السلطة في عهدين
متتالين ، العهد السابق لقدوم الإمام المهدى ، وعهد قيام الحكومة الفاطعية
برئاسة الخليفة المهدى .

كما استخلف أبو عبد الله أخاه أبا العباس ورجله أبا زاكى حين رحل على رأس الجيش لإطلاق سراح الإمام المهدى من سجن سجلاسة وقد غاب أبو عبد الله أربعين يوماً ، مارس فيها أخوه أبو العباس جميع السلطات ، وتوطد خلالها نفوذه (٢) .

⁽١) افتتاح الدعوة س ٢٩٢٠

⁽٢) القريزي : اتماط الحنفاح ١ ص ٦٦ .

ونحن لا نشك مطلقاً في إخلاص أبي عبدالله للإمام المهدى ونؤكدوفا مو راخلاصه ومودته وتقديره للامام. لقد كان أبو عبد الله طوال حياته يتصف بلوقا و الصفاء والنقاء وعلى خلق كرم ، وتواضع شديد. وقد بدت هذه وهمات كلها في معاملته لما أر الناس ، عظيمهم وحقيرهم ، نه غنيهم وفقيرهم (٢) وتجلى إخلاص ووفاء أبي عبدالله الشيعي للإمام في كل الجهود التي بذلها من أجل المنهيد للإمام لقدوم إلى بلاد المغرب و ولى الخلافة فيها . لتد نجح أبو عبد الله ، بجهود فردية ، احتواه أهالى إفريقية في مجتمعه الشيعي. وهو الله ي عبد بعث يستدعى الإمام من سلميه بالشام . وهو الذي خرج على رأس جيشه لإطلاق سراح الإمام من سلميه بالشام . وهد رأ ينا مدى قلق أبى عبد الله على الإمام وهو قد وخوفه من أن يقدم الوالى ابن مدرار على عبد الله في مو كب الإمام في شوارع سجلاسه ، ماشيا بين يديه ، ورأينا أبا عبد الله في مو كب الإمام في شوارع سجلاسه ، ماشيا بين يديه ، يبشر عبد الأهالى بالإمام .

ولذا فنحن نوافق المؤرخين الأقدمين الذين يجملون غرور أبى العباس هو السبب الوحيد الذى أدى إلى الوقيمة بين الخليفة المهدى وأبى عبد الله . وغذى الحاسدون والحاقدون هذه الوقيمة ، فتضخمت وتطورت ، وإنتهت بأمر من الخليفة المهدى بقتل أبى عبد الله .

وضح المتريزي (٢٠ حقيقة مقتـل أبى عبدالله الشيعى ، ققال : « وكان سبب قتله ، أن المهدى لما استفامت له البلاد باشر الأمور بنفسه ، وكف يد أبى عبد الله ويد أخيه أبى العباس ، فداخل أبا العباس الحسد، وعظم عليـــه

⁽١) النصان : افتتاح الدعوة ص ١٢٦ .

⁽٢) انماظ الحنفاء ١ ص ٧٧ .

للفظام من الأمر والنهى ، والأخذ والمطاء ، فأقبل يزرى على المهدى في مجنس أخيه ، ويتسكلم فيه ، وأخوه ينهاه ، ولا يزيده إلا لجاجا » .

وهذا النص الذي نقلناه عن المتريزي، واضح وصريح ونحن نعتقد أن الإمام المهدى كان على حق في ممارسة الأمور بنفسه، فهو حقه الطبيعي كنعليفة وأمير المؤمنين والدولة الفاطعية لا زالت في المهد وفي حاجة إلى رعاية وعناية ، كما كانت تواجه كثيرا من الأعداء والخصوم. وإذا كان الخليفة الجديد قد كف يد أبي عبد الله عن بعض المهام، فإننا نعتقد أن ذلك من أخيه . كما أ ثنا نلاحظ أن أبا العباس كان قد وصل إلى مرحلة الغرور والاستعلاء التي يخشى الخليفة امتدادها واتساعها وكان الخليفة بعلم إجلال أبي عبد الله لأخيه، وتعظيم الناس لأبي العباس، وكان أبو العباس في الحقية من أصبح قبل قدوم المهدى الحرب الأولى في بلاد المغرب. وأدرك أبو العباس طويلة بتقويض من أخيه عبد الله .

ونحن أيضا لا نشك فى أن كلا من الإمام المهدى وأبى عبد الله الشيعى كان يبادل الآخر المودة والإحترام . ولكن غرور وحقد أبى المباس أفسدا ما بين الرجاين . رقد عمل أبو العباس جاهدا فى إيفار صدر أخيه أبى عبدالله على الخليفة الإمام ، فكان يقول له : « ملكت أمرا وانطاع لك ، فجث بمن أزالك عنه وأخرجك منه وتنقصك واضطهدك ، وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت عليه فتكون الآمر والناهى ، ويشتغل إن شاء بشغل نفسه دون أن يهتضيك أو يتميك من الذل فى مثل هذا المتام (10) .

 ⁽١) النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

وفى الحقيقة ، أبدى أبو عبدالله استنكاره لمقال أخيه ، ولامه عليه ، ولحكن أبا المباس مضى فى سياسة الوقعية بين الرجلين ، فقال للخليقة الإمام :
« لو كت تجلس فى قصرك و تتركى مع كتامة آمره وأنهاهم ، لأنى أعوف
بادتهم ، لكان ذلك أهيب لك فى أعين الناس » . وهكذا لميشأ أبو المباس
أن يكون شريكا للخليفة فى سلطته ، بل أراد أن يكون بديلا له . وأبدى
الخليفة حاما وتسامحا ، فقد رد على أبى المباس ردا لطيفا ، ولسكنه «أسر ذلك
فى نفسه » (١).

وانطلق أبو العباس فى الإساءة إلى الخليفة الإمام شخصيًا ، فالتقى ثانية بالدعاة والمشايخ « فطعن لهم فى الإمامة وأدخل فيها الشبهة » ^(٣). ثم قال : « إن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته و ندعو إليه ، لأن للمهدى يأتى بالآليات الماهرة » .

وفى الحقيقة ، كان أبو العباس يهدم البناء الشاهق الذى شميده أخوه أبو عبدالله طوال سمسنوات عديدة ، ونجح أبو العباس فى إثارة الشكوك والرببة ، فقد أثرت أقواله « فى قلوب كثير من الناس ، حتى إن بعضهم من

 ⁽١) المقريزي ¹ الساط الحنفا ح ١ مي ٦٧ .

⁽٢) المصدر السابق ـ

⁽٢) النعمال : التتاح الدعوة ص ٢٦٩ .

كتامة واجه المهدى بذلك وقال: إن كنت الهدى فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك » (١)

نفذ صبر الخليفة، وكان بالأمس يتغاضى ويتغافل. ولكن أبا العباس الآن قد شن ثورة علنية ضد الخليفة، وهدم أساس نظام الإمامة الذى قامت عليه الخلافة الفاطبية. ولذا رأى الإمام المهدى أن يضمحدا لهذا العداء السافر، وقد بدت بوادر ثوره شعبية، وأصبح الأمر مسألة مصيرية، "رتبط بمصير الامام، وفلسفة الإمام، ومستقبل الدولة الفاطبية.

ولذا قرر الخليفة الخلاص من أبى العباس ، ومن أبى عبدالله أيضاً . وقد كان من المسير الإيتاء على حياه أبى عبدالله ، فهو لن يسكت على قتل أخيه ، فهناك صلات الدم ، ورابطة الأخوة ، فضلا عن تعظيم أبى عبدالله لأخيه .

وعلم أبو عبدالله بعزم الخليفة ، وبدأ سباق بين الرجلين ، وأصبح كل منهما يعمل على سبق الآخر في الفتك به . وعقد أبو عبدالله اجهاعا في دار أبي زاكي تمام بن ممارك ، وكان من كبار أعوانه ، « فمقدوا العقود ، وأجمعوا الآراء ، واحتالوا على أن يفتكوا بالمهدى » (٢٧ . وبدأ تنفيذ المؤامرة ، وأراد بعض الكتاميين قتل الخليفة عدة مرات « فلم يجسروا على قتله » . ورأى المهدى تشتيت شمل أنصار أبي عبدالله ، فولى زعيمهم أبا زاكى حكم طرابلس، وأمر عاملها سرا بقتل أبي زاكى عدد وصوله (٣٠) .

ثم رأى المهدى أن يعجل بقتل الأخوين ، فم قتل أبي العباس ، مم بعث بجاعة إلى قصر أبي عبدالله لاعتياله . وحاول أبو عبدالله نهيهم عما قدموا لأجله

⁽۱) المقريزي : اتماظ الحنفا حص ۹۷ .

⁽v) التعمال : افتتاح الدعوة س ٣٦٣ .

۲۸ س ۲۸ ماند الحنفا حا س ۲۸ .

فقال لهم : لا تفعارا. فقالوا له : إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا يقتلك » . ولتى أبو عبدالله ، وأبو زاكى حتفهم في يوم الاثنين في منتصف . جادى الآخرة سنة ٢٩٨ ه . وكان مصرع الأخوين في مدينة رقاده . وصلى المبدى على جُهان أبى عبدالله ، وقال : رحمك الله أبا عبدالله وجزاك خيرا بمجميل سعيك » (أ).

و ترب على مصرع أنى عبدالله اصطراب أحوال الدولة الفاطعية ، فقد الرب فتحت الله على ال

وثارت فتنة ثانية بين ،كتامة وأهل القيروان ، قتل فيها خلق كثير « فخرج المهدى ، وسكن الفتنة ، وكف الدعاة من طلب التشيع من العامة » . العامة » . "

قبض المهدى على رؤوس الفتنة فقتلهم صبرا على باب رقادة ، ونصب رؤوسهم على الباب . وتقبع المهدى أنصار أبى عبد الله فى كل البلاد بالقتــل أو السجن . وظل هؤلاء المسجونين فى حبسهم حتى أطلق سراحهم الخليفة المنصور، ثالت الخلفاء الفاطمين ، فوصلهم وسيرهم إلى مصو. وقدم شيوخ التيروان على المهدى ، يعتذرون له فأعرض عنهم ، وقتل بعضهم ، من ثبت إدانته .

⁽١) الصدر الدابق ح١ ص ٢٧ -- ٦٨ .

⁽۲) المدر المابق م ۱ ص ۳۸ ، ابن عقارى : البيان المرب م ۱ ص ۱۹۹٠

⁽٣) اتماظ الحنفا ح ١ ص ١٨ .

⁽٤) افتتاح الدعوة س ٧٧٠ .

وأراد المهدى ندعيم الدولة ، فمهد بولاية العهد لأبنه أبى الناسم (القائم) وسماه « ولى عهد المسلين » . ولكن مسرع أبى عبد الله لم يمكن سحابة صيف مرت بسهاء المغرب فقد رجع الكناميون إلى بلاده ، حيث أقاموا طفلا وذهبوا إلى أنه « المهدى » وأنه بوحى إليه ، كا زهموا أن أبا عبد الله لم يمت فيمث المهدى إليهم ابنه أبا القاسم ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل ذلك الطقال وكثيرا من أتباعه () . وانتشرت الاضطرابات في الدولة ، فنار أهالي طرا لمس وصفلية ، ولكن المهدى تجع في القضاء على الفتن .

وطويت صفحة أبى عبد الله الشيعى ، ولكن البذر الذى وضمه قد أينع وأثمر ، وظل الفرس الفاطمى قائماً فى بلاد المفرب ، وبدأت الدولة الفاطمية. تكتب صفحات كثيرة مجهدة من صفحات التاريخ .

 ⁽¹⁾ الهريزي : اتعاط المنتاح د من ٦٥ . ويذكر النسان (التعاج الدعوة س ٢٢٣)
 أنه مؤلاه الكتاميون أباحوا للزنا والهارم .

بین آنی عیدالله الشیعی وأبی مسلم الخرسانی (دراسة منارنة)

نظرية (عودة التاريخ) من النظريات التاريخية التي تحاو,لبعض المؤرخين الحجدثين ابربازها ، والبحث عن أهثلة تطبيقية خملية لها ، حتى أن التاريخ حقا يعيد نفسه .

ومن هؤلاطلؤر خين المعدثين أستاذنا المرحوم الدكتور حسن ابر اهيم حسن (') الذي قال: والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون ، فقد كانت خاتمة أبي عبدالله الشيعي. هي خاتمة أبي مسلم الخراساني ، مع ما عرف من غيرته وانتصاره للدعــــوة العباسية .

ونحن ترى أن الظاهر وإن كان واحدا ، إلا أن الجوهر لمختلف عاما . فأبو عبدالله وأبو مسلم يتفقان فى أن كلا منهما ساهم مساهمة رئيسية إيجابية فى إنشاء دولة عظيى وخلافة كبرى . ويتفق الرجلان أيضا فى المصير وفى خاتمة حيامها ، فقد لفى كل منهما حتفه على يد خليفة من نلك الدولة التى قامت على كتفيه فلقى أبو مسلم حتفه على يد الخليفة العباسى الثانى أبى جعفر المنصور فى سنة ١٩٧٧ ه (٢٧) ، وكانت نهاية حياة أبى عبدالله على يد الخليفة الفاطمى الأول عبيد الله للهدى فى جادى الآخرة سنة ٩٨٨ ه (٢٥).

⁽١) الدولة الفاطمية من ٥٦ ، تاريخ الاسلام - ٢ من ٩٠

⁽۲) الطبري ح ۳ س ۱۲۷ و مايمدها ، . (۲) العرب م أو ادارا أدارا أ

⁽٢) المفريزي : الماظ المنفاح ١ س ٩٨ .

ولكن الرجابين بختلفان نماما فى ظؤوف ظهورهما على مسرح الأحداث، ويختلفان فى الأصل والنشأة وفجر الحياة، وفى إعدادهم القيام بالمهمتين المظيمتين اللتين قاما بها كما يختلفان فى النزعة ، وفى الاتجاه السياسى ، وفى إخلاقهما وصفاحها الشخصية.

لقد كانت سخصية أبى مسلم على نقيض تام من شخصية أبى عبدالله التي شهدنا ممالمها في هذا البحث. فقد أصبح أبو مسلم رأس الشعوبية الموجهة صدد الدرب، ورأس الزندقة الموجهة ضد الإسلام. وقد كانت كل جموده ظاهريا لإقامة الدولة العباسية ، ولكنه كان في قوار نفسة بهدف إلى بعث الدولة الغارسية القديمة في ثوب إسلامي جديد ، عيث بصبح الموالي القرش في هذه الدولة هم أصحاب السلماة الحقيقية . وقد اعتمد أبو مسلم في خفاواته على الموالي القرين كان كثير منهم أعداء ألذاء للاسلام (١٠) كما أبدى أبو مسلم روحا شعوبية واضعة، وقتل آلافا من العرب في خراسان (١٠) . وامتزجت الدعوة العباسية بتيارات الشعوبية وبالتعاليم العوسية الإطادية ، وبتعاليم الغرق المتعارفة (١٠)

واعتمداً و مسلم في جموده من أجل الدولة العباسية على مهارته المسكرية وحدها ، فهو رجل حرب وقتال ، وليس رجل سياسة ودهاء . وهو يعتمد في بماحه المسكرى على الإرهاب وسفك اللماء ، ليثير رعب أعدامه فيتساقعاون على أقدامه ، وتركزت جهود أبي مسلم في حدد قوات عسكرية ضخمة ، تألف جندها من الساخطين على الحسكم الأموى ، نتيجة دوافع قومية أو سسياسية

⁽١) فان فلوتن : السيادة العربية س ٢٨ .

⁽٧) روى الطبرى (حـ ٦ ص ١٣٧) أن أبامسلم عـ تخلّل في: دولفة وحروبه سُتمالة أنت سيرا » .

⁽٣) فلهوزن : الدولة الدربية س ٢٧٧ -

دينية . فقد إنضم إليه الموالى الفرس الذين سخطوا على الأمويين سياسة اضطهادهم للمناصر الأجنبية ، وبعض المجوس المنافتين المتظاهرين بالإسسلام ويريدون السكيدله ، إلى جانب بعض الموالين لفرق سياسية ومذهبية تعارض الهدولة الأموية ، وعناصر أخرى طامعة وحاقدة . فأصبح جيش أبي مسلم خليها عجيبا لا يجمعه سوى الرغبة في استاط الدولة الأموية ، ونجح أبو مسلم بهذا الجيش في هزيمة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في موقعة الزاب ، ثم تقمعه إلى مصر حيث قتله ، ثم قامت الدولة العباسية سنة ١٩٧٧ هـ (١).

أما أبوعبد الله الشيمى وبهو رجل دعوة ، وسياسة ، ودها ، وكان العرب الأقدمون يستخدمون لفظ (داهيه) (٢) مراد فالفظ (عبقرى) ، ووصفه ابن الأثور (٢) بأنه «على علم وفهم ودها ، ومكر »، وقال عنه كل من المقريزى (٤) وبدأ وابن خلكان (٩) أنه كان « من الرجال الدهاة الخبيرين عا يصنمون » . وبدأ أبو عبد الله حياته حياته حكا رأينا _ عقسباً ، وكان لا يتولى هذا المنصب إلا من هم على دين وخلق وكفاءة . واشهر أبو عبد الله ق غر حياته بالتدين ولزهد حق سموه « المصوف » . وأبو عبد الله _ قبل كل شيء هو داعية علوى ، وليس قائداً عسكرياً ، رغم انتصاراته المسكرية المديدة وأقام أبو عبد الله من حالدولة الفاطنية على أساس عنقريته وذكائه ولباقته وعله . واختار مرح الدولة الفاطنية على أساس عنقريته وذكائه ولباقته وعله . واختار طويق الدعوة والإرشاد ، وسلك العلويق السلمى غالباً . ولا نجد في أخبار طويق الدعوة والإرشاد ، وسلك العلويق السلمى غالباً . ولا نجد في أخبار

⁽١) الطريء - ٥ س ١٥٢ و ما بعدما .

 ⁽٣) قال الدرب قدعا دهاة الدرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان ، وحمر وبن العلمى،
 وزياد بن أبيه ، والمنبة بن خمبة .

⁽r) المكامل حد ص ٢١ .

وع) اتماظ الحنفا ح ١ س ٦٨٠

 ⁽٥) وفيات الأصان ح ٢ س ٢ .

حروبه أثواً لبطش أو إسراف في سفك الدهاء ولا تجد أيضاً في أخبار مجتمعه الشيعي أى عصبية عنصرية، فقد ساوى بين البرر والدرب في الحقوق والواجبات وعمل على إذا بة كل الغوارق في بوتقة « دار الهجرة » فالجميع سواء ما دام . يجمعهم ولاء للامام العلوى . والعرب والبربر جمياً في مجتمعه هم «المؤمنون». أما « المكافرين » فهم أعداء الإمام ، سواء أكانوا عرباً أم بربوا .

أقام أبو سلم الخرساني كل أمجاده على انتصاره العسكرى في موقعه الزاب. يبيما كان أبو عبد الله ، هو الداعية الحاذق ، والمصلح الإجتاعي ، والزعم الشهي ورجل السياسة والإدارة ، والمثل الأعلى لمجتمع في الدين والأخلاق⁽¹⁾

وكانت مهام أبى عبد الله أكثر صعوبة ووعورة من مهام أبى مسلم. فالدولة الأموية كانت فى أواخر أبامها ، تحتضر وتلفظ أنفاسها ، إذ توالت عليها معاول الهدم (٢٠) ، كثورات الشيعة والخوارج والموالى ، فضل عن انقسهم وتنافسهم على طلب الخلافة . ولذا عجل أبو مسلم انتها ، بعد أن أصابها التصدع والإنحلال ، وأو شكت على السقوط والانهيار (١) . وكان أبو مسلم رجلا من رجال كثيرين اعتبد عليهمالسبسيون فى دعوتهم ، فكانت مناك تنظيبات كبيرة دقيقة لهذه الدعوة ، أقامها

⁽١) رغم انتقاد الفاضى التعمال لوقف أو عبد "ثة من المبشى، غور يشيد وأنما بأنى عبد الله ، فقد ظل دائما عطفنا بما كان عليه د من لباس الدون من الثباب المشفة »، وانسر الأمن في المقرب حتى د حكمت الدهاء وأمنت السبل » ودعا إلى الأخلاق الفاضلة د فأمر بقطع ضرب المسكر وكل ماظير من المشكر) » ، (ص ١٥٥) .
(٧) أنظر عوامل سنوط الدولة الأموية في كاينا (الاسلامون اللطلاقة) طبقه بينوت سنة ١٩٧ .
(٣) في نهى للمؤرخ إين طباطها، (النضرى من ٩٧) ينضح أن المظروف كايما كان مهيأة ليما الدولة أساسية ، فذكر منه : د المقدر الله عز وجرا التقال الملك إلى بين المياس عناقم من الحسيب . . . والقعر الله تعمل والدنيا بأجمها عنده ، والمناس إنكان تم والمن وينهر قون عنه خليفة سياما ، وحمله المشروب ، وأبياء نوشتها والدنيا بأجمها عنده ، والمناس ويتمرقون عنه .

البيابييون طوال ٣٣ سنة ، في معظم الأمصار الاسلامية . وإذا كان نشاط أي مسلم قد تركز في خراسان ، فقد مهد الأمور لهفيها دعاة عباسيون عديدون من قبل ، فقد تولى أمر الدعوة العباسية في خراسان أبو عكره ، السراج ، وكان له سهمون داهية من بينهم إثنا عشر نقيباً . وكانت خراسان مهياة تماماً المدعوة العباسية ، ولذا اختارها العباسييون مهد حركتهم المعارضة للأمويين . ولذا فإن أبا مسلم قد جني ثمار جهود الكثيرين ممن سبقوه إلى خواسان .

هذا ، بينا أقام أبو عبد الله بناء الدولة الفاطبية بجموده الغردية ، بغير مال أو رجال . قد قدم أبو عبد الله إلى المغرب وحيداً فريداً ، الاعون له سوى هؤلاء النفر من حجاج كتامة الذين نجح بذكائه وكياسته أن يبهرهم وبستميلهم، دون أن يخبرهم بحقيقة أمره ودعو ته . وزحف أبو عبد الله في خطوات و ثيدة بطيئة ، في طريقه الوعر ، وكأنه بنحت في صخر ، حتى بذر بذوره . أما ما قام به الحارثان ، الداعيتان أبو سفيان والحلواني ، فقد عفا الزمان ، بعد نحو قرن وضف قرن ، على جهودها . فقد كان على أبي عبد الله . في الحقيقة أن يبدأ من جديد ، ومن أول الطريق .

لقد أعلن أبو مسلم الخراسافي العصيان على الخليفة أبي جعفر المنصور ، علنا وصبراحة ، وأراد أن يكون الحاكم الفعلي للجناح الشرقي من الدولة السباسية ، وتعمد دائمًا الاستهانة بالخليفة والتصفير من شأنه (١) أما أبو عبدالله فقد ظل دائمًا على إخلاصه وولائه ووقائه للإمام عبيد الله المهدى . ولولاغرور

 ⁽١) أنظر تفاصيل العداء بين أبى صلم والمنصور في تاريخ الطبى حد مر ١٢٧ و ما بصداً ، ومروج الديمبر المسعودى حدم بع ٢٠٠٧ و ما بعدها .

أُسخيه ألى العباس وسياسته الخرقاء، لاستمر التمدير والحب متبادلين بين الإنام وحضو دولته أبى عبد الله . ولعكن الأقدار هى التى كانت توجه أحداث التناريخ .

صبر الإمام عبيد الله حتى قدرها . ولكن أبا جعفر المنصور كان يبغض أبا جهود أخيه أبى عبد الله حتى قدرها . ولكن أبا جعفر المنصور كان يبغض أبا مسلم ، ويكن له كراهية شخصية دأمًا ، تدفعه إلى الرغبة في الخلاص منه . فحين كان المنصور وليًا للعهد ، استمر على تحريضه لأخيه الخليفه العباسي الأول أبى العباس على قتل أبى مسلم (1) . ولكن هذا الخليفة كان يدرك خطورة الإقدام على اغتياله فكان يرفض دائمًا . ولما تولى المنصور الخلافة نفث عن أحقاده ، فكان قتل أبى مسلم في قصره ، وفي يجلسه ، وبيده (۲) ولكن المهدى لم يأمر بقتل أبى عبد الله إلا مضطرا ، وبعد أن نفذ صبره وخاف على الدولة من الاضطراب والفتنة ، وكان مصرع أبى عبد الله في قصره ، وأبدى المهدى تسامحا حين خرج ليصلى على جثان أبى عبد الله .

وكان لمصرع الرجلين العظيمين ، آثاره الحمايرة فى الدولة . فقد ثارأتباع أفى مسلم غضباً وسيخطأ على مقتله ، وظهرت حركة ثورية مجوسية تزعمها (سنباذ) المجوسى ، تطالب بالثأر سنة ١٣٧ ه وهب مائة ألف من أنصار أبى مسلم يتظاهرون بالسخط لمصرعه ، وهم فى الحقيقة يريدون الكيدللإسلام والعروبة ، حتى أنهم نادوا بانهاء سلطان العرب . وأعلنوا عن عزمهم على

 ⁽۱) كان المنصور يقول لأخيه أبي العباس: « أطعني وافتل أياً سلم فواقد إن في رأسه للمدود » (ناونج المطبري ح ٣ س ١٣٤)

⁽٢) ضرب المتصور أبامسلم بسبود ، ثم أجهز رجاله عليه .

الزحف إلى بلاد الحجاز لهدم الكعبة . وتجح النصور ، بعد جهود كثيرة فى القضاء على هذه الحركة الخطيرة ، التى تثبت ما قلناه من أن أبا مسلم كان رمز الشمو بية والزندقة (١) وما لبثت أن قامت حركة أخرى شعوبية مجوسية ترعمها اسحق التركى ، أحد رجال أبى مسلم ، فزعم أن أبا مسلم حى لم يمت ، وأنه سيمود لينشر الفدل والأمن ، ولذا أصبح فى نظرهم (المهدى المنتظر) وحول بعضهم الإمامة إلى ابنته فاطمة .

وهذه الاضطرابات ، وما صاحبها من أفكار إلحادية خرافية ، تشبه ما ساد بلادكتامة بعد مصوع أبى عبد الله ، فقد أقام الكتاميون - كما رأينا طفلا زعموا أنه (المهدى) وأنه يوحى إليه ، كما زعموا أن أبا عبد الله حى ولم يمت (٢٠) وظهرت بين الكتاميين أفكار هدامة فقد أباحوا الزنا والمحادم (٣٠) وبذلك هدموا « المدينة الفاضلة » التى أقامها أبو عبد الله في ه دار الهجرة ».

ما أشبه الليلة بالبارحة . ولكن ... هل يعيد التاريخ نفسه حقيقة ؟!! ... وسأترك الإجابة للتاريخ .

وأخيراً ، لا نجد عبارة تختم بها بحثنا هذا ، أفضل من تلك العبارة التي قالها الخليفة عبيدالله المهدى حين كان يصلى على جنمان أبى عبدالله الشيمى، وهى: « رحمك الله أنا عبد الله ، وجز ال خيراً محميل سعيك » .

⁽۱) الطبري حدين ٤٤٠ وماسدها .

⁽۲) المقريزي : اتماظ الحنفا حـ ۱ ص ۲۸ .

⁽٣) قان فلوتن : السادة المربية س ٩٢ .

مصادر البحث

وقد ورد ذكرها جميما في حواثني البحث

ابن الأثير : (٦٣٠ ﻫ)

الكامل في التاريخ (بولاق ، القاهرة ١٣٧٤ هـ)
 الأصنياني : (٣٥٠ هـ)

- مقاتل الطالبيين (طبعة القاهرة)

البغدادي : (+ ٢٩٩ هـ)

ـــ الفرق بين الفرق (القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م)

جولد تسيهر : (اجناس)

المقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة على حسن عبد القادر
 وآخ بن (القاهرة ١٩٤٣) .

ابن حزم : (+ ١٥٦ هـ)

ــــ النصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة ١٣١٧ ﻫـ).

حسن ابراهيم حسن : (الدكتور) ..

— تاريخ الدولة الفاطمية (العلبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨)

- عبيد الله المهدى، إبالاشتراك مع إالدكتور طه شرف

(القاهرة ١٩٤٧)٠

حسين بن فيض الممداني اليعبرى:

الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن (٢٦٨ ـ ٣٣٦ ه) ، بالاشتراك مع الدكتور حسن سليان محمود (القاهرة ١٩٥٥).

الحادي الممنى: (أوساط القرن ٥ هـ)

- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩).

ابن خلدون : (+ ١٠٨ هـ)

مقدمة ابن خلدون (المطبعة البهية المصرية ، القاهرة)

السير وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ، القاهرة ١٧٨٤ هـ)

ان خلکان: (+۱۸۱ ه)

-- وفيات الأعيان (القاهرة ١٩٤٨).

الشهر ستانی: (+۸٤٥ هـ)

الملل والنحل ، (القاهرة ١٩٤٨)

ابن طباطبا (۲۰۱ هـ)

الطبرى: (+ ۲۹۰ م.)

- تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٩٤٩)

عارف تامو : -القرامطة ، أصلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم (بيروت١٩٩٤) ان عبدريه: (٢٣٩ هـ) - العقد الفريد (القاهرة ١٩٤٨). ابن عذاري : (أواخر القرن ٢ ه) البيان المفرب في أخبار المغرب (دار الثقافة ، بيروت) عريب ن سعد : (٣٦٦ هـ) سلة تاريخ الطبرى (المطبعة الحسينية بالقاهرة) على حسن الملو بوطلى: (الدكتور) ــ تاريخ المراق فيظل الحكم الأموى (القاهرة ١٩٥٩) - المختار الثقني (سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٣) ـــ الإسلام والخلافة (بيروت ١٩٧٠) عارة المنزرة (١٩٥٨) ـــ تاريخ اليمن ، تحقيق الذكتور حسن ســـليـان محموذ (القاهرة . (1904

فان فلوتن : (ج .)

- السيادة العربية والشيهة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن وزكى ابراهيم (القاهرة ١٩٣٤).

فليوزن: (يوليوس)

--- الدولة المربية ، توجمة الدكته رعبد الهادي أبو ريدة (طبعة لحنة التأليف والترجمة والنشم بالقاهرة) .

فيلس حق : (الدكتور)

تاریخ العرب، ترجمة مبروك نافع (القاهرة)

(+ 200 +): (5) all

- الأحكام السلطانية (القاهره ١٢٩٨ هـ)

محمد جمال الدن سرور: الدكتور

النفوذ الفاطبي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٧)

- مصر في عصر الدولة الفاطمية (القاهرة ، سلسلة ألف كتاب)

عمسد بن عمد: المالى:

 سيرة الحاجب جمفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله إلى سعاماسة (نشر ها الأستاذ إلله أنوف في محلة كلية الآداب بجامعة القاهرة في ديسمبر ١٩٣٩).

السمودى: (+ ٣٤٦ ه)

مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة)

الناصري : (أبو العباس أحمد من خالد)

الاسمية عما لأخباد دول المغرب الأقيمي (الدار البيضاء

سنه ١٩٥٤).

الفورس

صفحة									
٣					-			مقدمة	
٧								تمهيد	
14						٠	الحياة	ن غجر	١
17				بن •	فى البم	التاميذ	ىتاذ و	ــ الأــ	۲
48				نر.	ب البذ	رصاح	ر ثان و	ـــ الحا	۳
۳١						زمخية	طة التا	— الر-	٤
**							لمهرب	- في ا	٥
٤١				الشيعى	بعثمع	ة وال	الهجرا	— دار	۲
73		٠	٠				اد .	الجو	Υ
٥٢				. 4	لفاطمي	دولة ا	س ال	– مؤر	A
٥A	٠				40	اعبدر	رع أبر	-aa —	٩
								۱ ین	
٦٥					(%	: مقار	دراسا)	
٧٣							ألبحث	مصادر	

